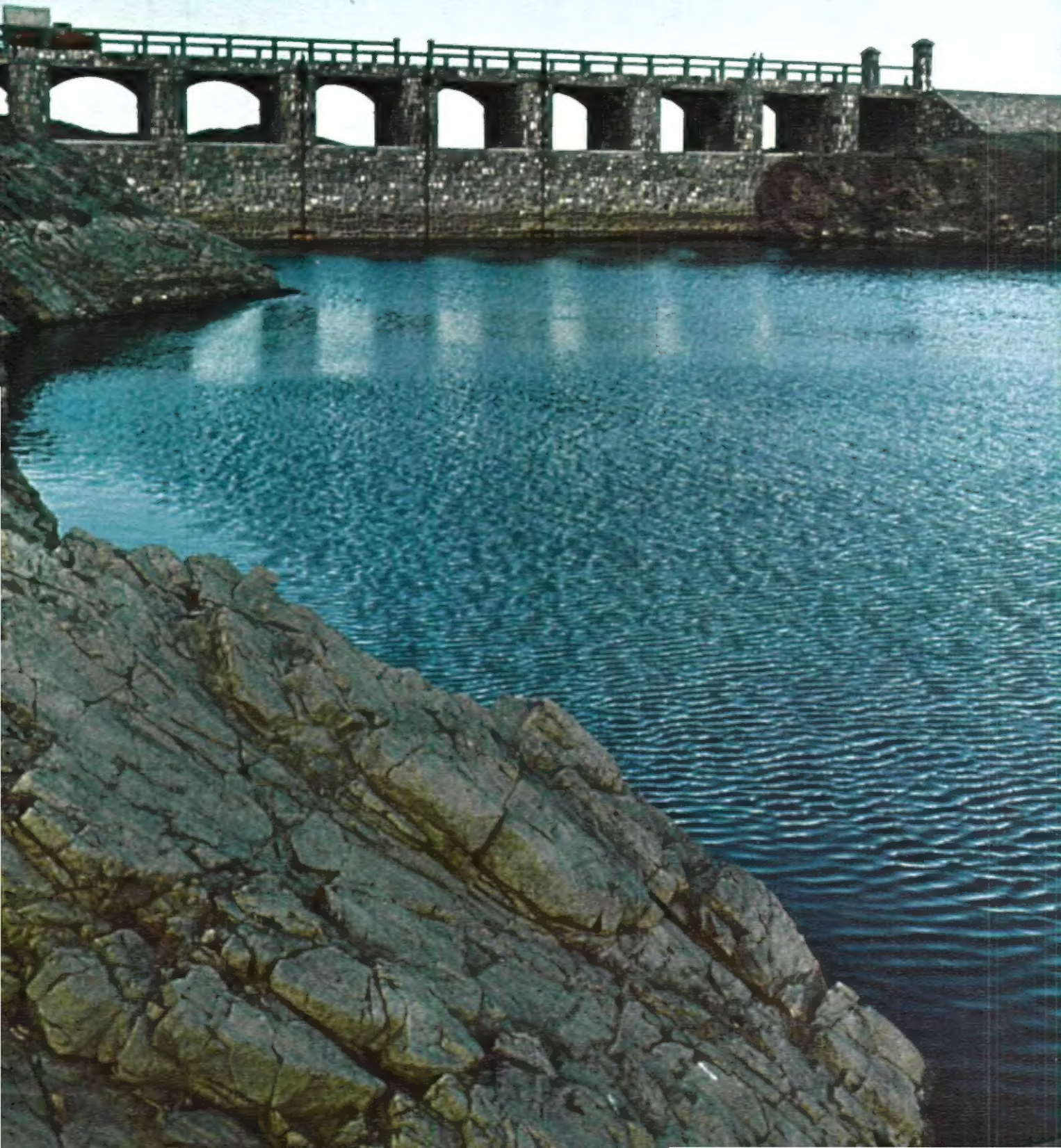


قافلة الزيت

ذوالقعدة ١٣٩٦ - أكتوبر/نوفمبر ١٩٧٦



امم على القلاع الضمنية في "دان"
رابع مقال "جدة دان" ظهورها مدبر في



قافلة الزيت

العدد الحادي عشر المجلد الرابع والعشرون

تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها - إدارة العلاقات العامة
توزيع مجاني
العنوان: صندوق البريد رقم ١٣٨٩ - الظهران، المملكة العربية السعودية

محتوى العدد

- | | | |
|----|---|---------------------|
| ٢ | الأدب بين التفاؤل والتشاؤم | أحمد الجندي |
| ٤ | وسائل جديدة لإبادة الحشرات | زكريا البنا |
| ١٤ | ربة الألمان (قصيدة) | لراحل أنور العطار |
| ١٦ | دفاتر معطرة (قصة) | فاصل السباعي |
| ٢٢ | السود في المملكة العربية السعودية | يعقوب سلام |
| ٢٩ | دور الفرد في الجماعة | محمد عبد الرحيم عدس |
| ٣٢ | أخبار الكتب | |
| ٣٣ | الرواية الانجليزية تاريخاً وفقداً (١) | حسين الجيار |
| ٣٦ | وان . . . متجع الأباطرة والملوك في العصور الغابرة | سليمان نصر الله |
| ٤٨ | بيضاء (قصيدة) | خليل هنداي |

الغلاف على صورة الغلاف

أحد السود البارزة في المملكة العربية السعودية
راجع مقال «السود» - تصوير : عبد اللطيف يوسف

المدير العام: فيصل محمد البنا
المدير المسؤول: عبد الله صالح جمعة
رئيس التحرير: عبد الحسين الغامدي
المحرر المساعد: عويني أبو كشك

- كل ما يُسَرَفُ في قافلة الزيت يُعبر عن آراء الكُتَّاب أنفسهم، ولا يُعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن إتحادها
- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهِر في القافلة "دور" إذن مسبق على أن تذكر كصدر.
- لا تقبل "القافلة" إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها.

الخوف

الإنسان دنيا معاش للورى حتى اذا حل الربيع فانما هي منظر وقد يزداد حس الفنان وتطلعه الى نهاية الحياة فيدمن التفكير ويقف فكره على هذا الخوف الذي لا يفارقه ولا يستطيع الخلاص منه ، فيصبح أكثر دهره صامتاً مفكراً في العواقب ، ويزداد في نفسه عمل الحس الباطن فيزداد ، تبعاً لذلك ، توارد الخواطر عنده ، ويكثر تأويله للمظاهر الطبيعية ، كما يسيطر عليه الوهم الذي يقرب عنده حقائق الأشياء ، فيرى الأمور على غير الصورة التي يراها الناس العاديون فكل شيء له معنى ظاهر وآخر باطن ، وكل منظر له شكل وله حقيقة ، ويأخذ في تفسير المصادفات والمفاجآت تفسيراً يبعد عن الحقيقة في أغلب الأحيان ، في حين أن هذه المصادفات تقع مع غيره من الناس وعلى مرأى منه ، فلا يهتم بها ولا يجعل لها من المعنى أكثر مما تستوعق له وقد يرى الفنان ذلك ولكنه لا يقنع برأى الآخرين وانما يشتغل في تفسيره وتأويله للمظاهر حتى يصبح ذلك ديدناً له .

والفنان وأصحاب الفن آراء في هذه الحياة توحى بالرائاء لحالمهم ، وكثيراً ما تكون هذه الآراء وسيلة لسخر الناس ، ولقد لقي هؤلاء الفنانون من سخر الناس ما عجزت عنه نفوسهم فباؤوا بألم كبير وتحملوا من ذلك الشيء الكثير . لقد كان ابن الرومي نموذجاً لهذا النوع من الفنانين الذين يقضون حياتهم مهتاجين مشدودي الأعصاب الى ما يبدو في صفحة الحياة من مفارقات يحسونها بأعصابهم فيثورون خوفاً ويتحركون هلعاً وجزعاً . لقد رأى ابن خفاجة الجبل في الليل فأوحى له منظره أنه يحمل هما كبيراً وأنه يفكر في نهايته التي لا بد آتية وكأنه انسان عادي يحمل من هموم الحياة ما لا طاقة له باحتماله .

مقيم على ظهر القلعة كأنه طوال الليالي مفكر في العواقب لقد نقل الهم الذي يعتلج في صدره الى هذا الجبل الجماد فحمله منه ما ضاقت عنه نفسه وهكذا فان الفنان يخلع على الطبيعة ما عنده من هموم وأحزان حتى ترى الكون حزناً كله . هذا الخوف الذي يعايش الفنان ويساير حياته كلها هو ما نسميه بالتشاؤم . والتشاؤم أعم من الخوف واشمل ، وهو خوف يمتزج به الكره والامتعاض ، وهو لذلك علة كبيرة في النفس ومرض ، كثيراً ما يؤدي بصاحبه الى الهاوية .

وتشاؤم ابن الرومي يمكن أن يكون مثلاً رائعاً لتشاؤم الشعراء وارتباكهم في حياتهم ، والا فما الذي يوحى لابن الرومي بالخوف من الأحوال أو الأحذب أو القصير المفرط في القصر حتى ليهرب منهم هربه من شيء مخوف رهيب . مع أن هذه المناظر بالنسبة الى الانسان العادي ، مناظر عادية بل ربما أوحى الى اصحاب المرح والفكاهة بلون من ألوان السخرية . فابن الرومي يضخم المنظر ويؤوله ويقسره ويخشى نتيجته ويتخيل أنه يسبب له خطراً

بطبعه ميال الى الخوف من كل شيء لا يراه ، فهو يتوجس مما يأتيه عن طريق الغيب الذي لا يدركه وهو يحسب حساب المفاجآت التي لا يتوقع حدوثها والأحداث التي لا يعرف ميعاد وقوعها . فالاحساس بالخوف كما أراه يمكن أن يعتبر حساسة أخرى تضاف الى الحواس التي يتألف منها وجود الحس عند الانسان ، ولعل أشجع الشجعان لا يخلو من الشعور بالخوف بل ان خوفه لا يقل عنه عند غيره من الناس . انه يستطيع الصبر والاحتمال أو هو يجيد التكلف واخفاء الحقيقة فيتظاهر بالاقدام ، ثم يقدم ويقوز فيكون شجاعاً في حين يكون غيره جباناً رعديداً ، ولكن هذه الشجاعة لا تبدو إلا من خلال الخوف الذي يسيطر على الانسان الشجاع وتحكم به ثم استطاع الشجاع أن يتخلص منه وينفذ الى غايته التي يظهر بها غير خائف ولا وجل .

والموت أعظم شيء يخاف منه الانسان لأن الموت نهاية لوجوده . هذه النهاية التي تذهب به الى عالم آخر لم يره وانما فكر فيه وتخيله وقرأ عنه ، فاختلطت حقيقته بالخيال وامتزج شكله بالكثير من التصورات . وخوف الموت لا يحد لأن الانسان لا يستطيع تفاديه ولا مقاومته ولا التحايل عليه ، انه حكم مبرم غير قابل للنقض أو لأية طريقة أخرى من طرق الخلاص ، ولقد عبر عن هذا الشاعر شوقي في رثاء الشاعر اسماعيل صبري وكان قاضياً بارزاً فقال :

قاضي القضاة جرت عليه قضية
للموت ليس لها من استئناف
ولقد سئل الحسين بن الضحاك عند موته عما يشتهي ؟ فقال : أشتهي أن لا أموت ، وليس من السهل ، في حقيقة الأمر ، أن تنتهي حياة المرء ، وليس حيناً أن يغادر هذه الدنيا الجميلة التي ملئت مناظر أخاذة وغصت بأفانين من الجمال والطرافة . انها حكمة الخالق التي أهداها للناس كي يتمتعوا بها ، ولكنه تعالى ، لم يترك لهم الجبل على الغارب ، بل جعل الموت لهم حداً يتذكرونه خائفين ويحسبون حسابه في كل لحظة من لحظات الحياة ذاكرين متطلعين .

والفنان الأصل أكثر الناس حساساً للنهاية الأخيرة ، وهو يكاد لا يترك التفكير في هذا الموت الذي قهر الباري به عباده ليحد من وجودهم وليأخذ بهم الى العالم الآخر ، عالم الخلود الذي لا ينتهي . ذلك أن الفنان شديد الاحساس بما في هذا الكون البديع من فنة وجمال ، فهو يتعشقه وينظر اليه والهاً معجباً ، ويتغنى بمناظره الخلابة حتى لقد أصبح شعر الطبيعة جزءاً كبيراً من الشعر العالمي فكانت « الرومانتيكية » في الأدب وفقاً على التغني بجمال الطبيعة وفنة الحياة . فتركها صعب ، وفراقها مؤلم ، وهذا أبو تمام يرى في الدنيا منظرًا خلابة ومتعة للنظر فيقول :

سِفَاوِلُ وَالتَّسَاوِمِ

بقلم: الأستاذ أحمد الجندي

كبيراً ، فهو يتحاشاه ويهرب من طريقه ويكون سعيداً حين يخلو يومه من رؤية مثل هؤلاء ممن يعدهم الفنان مناظر مؤلمة ، وهذا التضخيم هو الذي استخدمه ابن الرومي في تصوير الشخصيات الشاذة التي عني بتصويرها وكان ضيق الصدر بها ، ربما بمنظرها الرهيب ، كان يخرج من داره في الصباح بعد أن يتربص قليلاً وراء الباب ، وبعد أن ينظر بعينه من خصائصه ليرى طريقه خالية من كل ما يعكر مزاجه ويؤذي طبيعته ، فاذا خرج وفجأة قصير أو ذو لحية أو أحذب عاد أدراجه مسرعاً الى داره ليلبث فيها حقبة ثم يعود الى التشوف من خصائص الباب وربما ظل كذلك بين خروج ورجوع سحابة يومه ، وقد يطول به الأمر حتى يبقى نهاره في البيت لا يخرج منه ليتدبر أمر عياله من مأكل ومشرب . روي أن امرأته رمت دار جاره بحصاة صغيرة فتحدثت الى الجارة تقول : لقد مرت علينا خمسة أيام وزوجي لا يخرج من البيت حتى كدنا نموت جوعاً ، وعلمت الجارة أن هنالك أحذب يجلس أمام دار الشاعر فاذا خرج ورآه عاد الى الدار وقد يكون هذا الأحذب مازحاً يريد أن يسخر من الشاعر .

نقد صور الوهم وتداعي الأفكار عند الشاعر هذا الأحذب شيئاً خطيراً ، حتى رآه سبباً للخطر الذي يتوقعه ، لذلك أغرق في تصويره وبالع في رسم ملامحه المشوهة ، رسماً قد يخالف الحقيقة ولكنه ينطبق على ما يتصوره فهو يقول في وصف الأحذب الرهيب :

قصرت أحادعه وطال قذاله
فكانه متربص أن يصفعا

وكانما صفعت قفاه مرة
وأحس ثانية لها فتجمعا

ولا يمكن أن يتصور الانسان الأحذب على هذه الصورة الا اذا كانت صورته ذات أثر في نفس الرائي ، وقد يمر بهذا المنظر مئات الأشخاص فلا يحسون به ولا يشعرون لأن الحدية في الرجل ظاهرة طبيعية قد تكون مألوفة وان كانت شائثة . وهي ليست نادرة الوقوع ، وكذلك قل في الأعرج والقصير والأحول . ان هؤلاء في الحياة كثيرون وان كانوا قلة نسبية لكن منظرهم ليس غريباً ولا عجيبة ، وقد نجد في الطبيعة أناساً ذوي عاهات أو نواقص تدعو الى الاستغراب فعلاً لأنها نادرة حقاً وعجيبة .

ان تصوير ابن الرومي للأحذب تصوير دقيق جداً قد أعطاه الحركة واللمحة الخاطفة ، وهو دليل على أن الشاعر الفنان قد تأثر بالمنظر تأثراً عميقاً ولم يكن بالنسبة اليه منظرًا عابراً كما هو عند الآخرين ، ولعل الذي ساعده على اتقان الصورة شدة خوفه منه وحذره منه حذراً شديداً ، وكل ذلك يدل على رهافة الحس التي لا تتأتى إلا لشاعر موهوب . ان الشعراء وأصحاب الفن هم أكثر الناس تفكيراً في النهاية التي لا نهاية بعدها ، ولقد وقف الموت أمام ابن الرومي لا يريم ، وتبعه أنى سار ولازمه في حياته كلها ملازمة

الظل ، فهو خائف أبداً خائف القوى دائما في حين كان الموت موضع اعتبار وتفكير أمام غيره من ذوي النفوس الشاعرة التي تحتمل الموت فلا يسيطر عليها ولا يغير من مجرى تفكيرها . لقد وصف الشعراء غير ابن الرومي وأمثاله ، الموت وصفاً رائعاً وذكره في روحاتهم وغدواتهم ، ولكنهم كانوا يتركونه أحياناً ليدهبوا في فجاج الحياة ينعمون بالعيش ويتنقلون بين افئانه وافيائه ، ولقد تحدث المتنبي عن الموت حديث الرجل الذي يعرف موقعه وأثره ولكنه لم يتنكب عن السعي الى الولاية والسيطرة والنفوذ ، ولقد وجد في الموت أمراً لا بد منه وما دام كذلك فالخوف أمر لا مسوغ له :

والأسى قبل فرقة الروح عجز
والأسى لا يكون بعد الفراق

انه منطوق سليم الى حد ما ولو أن خوف الموت حتى أيضاً، ومثل المتنبي يستطيع العيش متأملاً ساعياً الى الغنى والجاه ، في حين أن ابن الرومي قد سيطر عليه الخوف حتى أقعده في داره لا يخرج ليتدبر أمر طعام أولاده . ولقد تحدث ابن هاني عن الموت فصور واقعه تصويراً صادقاً :

الناس للموت كخييل الطراد

فالسابق السابق منها الجواد

فالناس مسرعون الى النهاية معجلون الى بلوغ الغاية ولكن ذلك لا يمنع الشاعر من أن يمدح ويتغزل وهو هانيء وادع وقد نسي الموت نسياناً تاماً .

وقد شوقي أيضاً يصف الموت حتى لكأنه يحسه في كل لحظة من لحظات حياته أو كأنه يتلمسه بكلتا يديه ، واسمع ما يقوله في رواية كليوباترا على لسان الكاهن الذي يخاطب ملكة مصر :

زعمت ابنتي الموت شخصاً بحس
وعظمت من أمره ما صغر

وما هو إلا انطفاء الحياة

وعصف الردى بسراج العمر

اذا جاء كان يغيب النفوس

وان جيء كان حبيب الصور

وليس صورة في العيون

على قبح صورته في الفكر

والى جوار هؤلاء الخائفين المتشائمين ، والى جانب المعتدلين

الواصفين ، عاش شعراء ملكوا عنان الحياة ، وضبطوا هواجس العقل ، وتحكموا في اضطراب الأعصاب فهم ينظرون الى الموت

نظرهم الى حادث طبيعي موقوت وان الحياة يجب أن تمر في مرحلة

العمر مروراً هادئاً ما دام الموت قادماً لا بد منه ، وان على الانسان

في فترة الحياة أن يعيش وادعاً هادئاً : « اعمل لدنياك كأنك تعيش

أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » ●

خبيران يقومان بجولة تفتيشية في أحد الممرات المائية التي كانت الأعشاب البرية تعوق مجراها قبل أن تطلق فيها الخنافس .



« الخنافس البرغوثي - Flea Beetle » يلتهم الأعشاب البذبة ، ويتواجد بكثرة في الممرات المائية في أمريكا الجنوبية .



عدد من العلماء بأبحاث وتجارب عدة على مختلف أنواع الحشرات توصلوا على إثرها الى طريقة جديدة لمكافحة الآفات الحشرية باستخدام هرمونات الحشرات ذاتها وما يعرف علمياً بـ « العطور الجنسية - Sexual Perfumes ». فقد تمكن العلماء ، بعد ربع قرن قضوه في مكافحة الحشرات بالمواد الكيميائية ، من احراز انتصارات عديدة ، كان لها أحسن الأثر على صحة الانسان ورفاهيته .

ومع ذلك فإن الدكتور « روبرت فن دن بوش » عالم الحشرات في جامعة كاليفورنيا يقول : انه يوجد الآن حشرات ضارة أكثر من ذي قبل ، وان هناك أعداداً كبيرة من الحشرات أصبح لديها مناعة ضد المبيدات الحشرية ، وان تكاليف مراقبة الحشرات قد ارتفعت كثيراً ، كما أن المحيط الذي تعيش فيه قد تلوث من جراء استعمال المبيدات الحشرية الضارة . لذلك فهناك اهتمام ملحوظ نحو تطوير طرق مراقبة المبيدات الحشرية التي تجاهلها الناس وخاصة مبيد الحشرات المعروف بـ (د.د.ت) . فقد شرع عالم الحشرات والكيميائي « روبرت منكلاف » بدراسة عناصر المبيدات الحشرية الاصطناعية التي تتكون منها مادة ال (د.د.ت) . وهناك دراسات أخرى تجرى حالياً أطلق عليها اسم « السيطرة البيولوجية - Biological Control » وهي تهدف الى ملاحقة الحشرات باستمرار واتلاف عملية تناسلها بالطرق الكيميائية . وتعتمد هذه الدراسات في الأصل على اتباع الطرق الطبيعية في مراقبة الحشرات بأنواعها الثلاثة : المفترس ، والمعرض ، والطفيلي . وعلى سبيل المثال نذكر تلك الحشرة التي تسمى « بق الحمضيات الدقيقي » التي كانت تهدد بساكني الحمضيات في كاليفورنيا . ولكي يتمكن المزارعون من القضاء على تلك الحشرة قاموا باستيراد نوع من الخنافس يدعى « فيداليا - Vedalia » من استراليا . وهذا النوع مشهور بعدائه لتلك الحشرة ، وبعد عام من استيرادها تمكنت من القضاء على تلك الآفة التي تصيب أشجار الحمضيات . ثم أخذت طرق مكافحة الحشرات بالمستحضرات البيولوجية تتوسع تدريجياً حتى أصبحت تضم مجموعة كاملة من المواد غير السامة المبيدة للحشرات ابتداء من تطوير هندسة زراعة المحاصيل المقاومة للوباء وانتهاء بالتغيرات البسيطة التي أدخلت على حراثة الأرض ، وطرق الري والتسميد .

ومن بين أهم المستحضرات البيولوجية المتقدمة

سائل
مبيدة
للمختر الحشرات

ما يسمى بالجيل الثالث من المبيدات الحشرية وتشبه في تركيبها الكيميائي مبيدات الجيل الأول المركبة من عناصر الزيت مثل الكيروسين ، ومبيدات الجيل الثاني المركبة من عدة عناصر مثل ال (د. د. ت) . إلا أن العناصر المتطورة الجديدة غير سامة ولكنها تؤثر على هرمونات الحشرات ذاتها .

وفي أحد الأبحاث التي كان يجريها علماء الزراعة طبقت النظرية القائلة

إذا زال الجنس زال الوباء . وإذا زال الوباء زال تضرر المحصولات . وتبعاً لذلك قام العلماء بتطوير مواد كيميائية قادرة على منع التناسل الجنسي لدى الحشرات . ويهتم العلماء . بوجه خاص بالعطور الجنسية الحشرية التي تعتبر عنصراً فعالاً في عملية تكاثرها ، لأنه بدون هذا العطر الذي تفرزه الأنثى لن يتمكن أي من الذكور من العثور عليها . ولو حدث مصادفة واصطدم بها أحد الذكور فانه لن يحدث شيء دون وجوده ، وتدعى هذه المادة التي تجتذب الذكور « فيرومون - Pheromone » وهي عبارة عن مادة هورمونية تعتبر حبل الاتصال بين أفراد الفصيلة الواحدة من الحشرات . وهناك أنواع مختلفة من الحشرات والحيوانات تلجأ الى هذه المادة الهورمونية لتحديد أمكنة غذائها . أو أعشاشها أو المناطق الخاصة بها . كما أن هناك بعض الأدلة التي تثبت بأن هذه الفيرومونات موجودة لدى الانسان . أما الحشرات التي يتصل بعضها ببعض عن مسافات بعيدة فيكون « الفيرومون » لديها متطوراً جداً بحيث أنها اذا ما أطلقت الرائحة المناسبة في الاتجاه الصحيح في الهواء استطاعت أن تجتذب اليها الذكر الذي من نوعها من مسافات تتراوح ما بين متر وخمسمائة متر تقريباً . وقد وجد العلماء أن فعالية هذه المركبات جعلها صالحة للاستعمال في عدد من المواد الفريدة في نوعها المبيدة للحشرات . وباستعمال الفيرومونات كطعم في مصائد الحشرات يمكن معرفة عدد الحشرات وتحركاتها . ومن ثم تحديد الكميات اللازمة من المبيدات بدقة تامة . ففي إحدى التجارب التي أجراها الدكتور « وندال رولوفس » . في أحد بساتين التفاح بمدينة كورنيل . أظهر كيف يمكن للمزارع أن يوفر ما بين ٢٥ و ٥٠ بالمائة من تكاليف رش الأشجار باستخدام مصائد الفيرومونات للسيطرة على الآفة التي تصيب أوراق أشجار التفاح . وما يذكر أن الدكتور « دافيد وود » في جامعة كلفورنيا



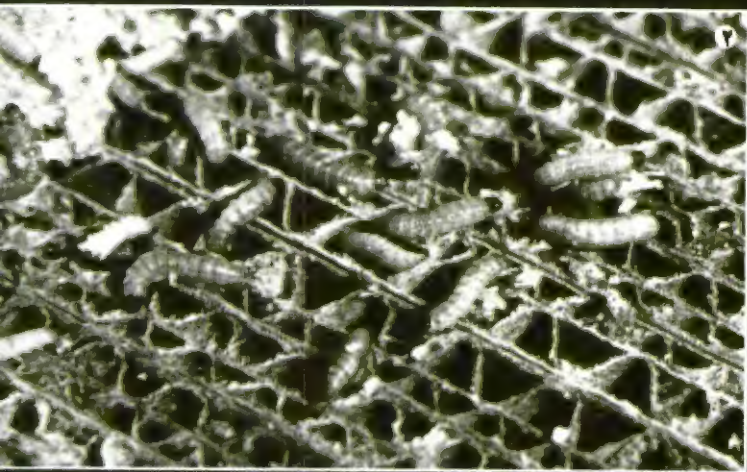
فراشة الغجر - Gypsy Moth من الآفات الحشرية التي تهدد سلامة المزارع . وقد تمكن العلماء من تطوير طعم اصطناعي فعال مماثل للمادة الجذابة التي تفرزها الأنثى .



٣ - خبيران من مركز الأبحاث الزراعية الأمريكي ، يقومان بجمع الحشرات ، من حقول البرسيم ، لفحصها وتحديد مدى تأثير الدبابير التي أطلقت في المنطقة على حشرة البرسيم .

٢ - مجموعة من بيض الفراشة العنبرية بعد تكبيرها ، وقد ظهرت على رأس القلم فراشة استوردت الى أمريكا ، لتساعد في التقليل من الآفات الحشرية التي تعيش عالة على اليرقات .

١ - كانت الأعشاب البرية مصدر ازعاج لصيادي الأسماك قبل اطلاق الخنافس في الجداول القريبة من بحيرة بونت شاترين في ولاية لويزيانا . أما الآن فإن المياه تجري صافية بعد أن التهمت الخنافس الأعشاب البرية وقضت عليها .



كان الدكتور «وود» يجري فيه بعض التحسينات على مصائده ، كان زميله الدكتور «هاري شوري» في جامعة كاليفورنيا قد بدأ حملة من نوع آخر ضد آفات القطن ، لأن إيجاد بديل للمبيدات الحشرية التي تستعمل في رش أشجار القطن بوجه خاص يعتبر أمراً مهماً جداً ، ورغم أن ١,٥ بالمائة من الأراضي فقط تزرع بالقطن في الولايات المتحدة الأمريكية ، فزراعة القطن وحدها تستهلك حوالي ٤٥ بالمائة من المبيدات الحشرية الكيميائية التي تكلف المزارعين ملايين الدولارات .

نقد أظهرت الأبحاث التي أجراها الدكتور «شوري» على دودة الملفوف أنه حينما تحشر ذكور وإناث عذارى معاً في أوعية يكون الهواء فيها مشبعاً بفرمونات الذكور ، فإن أحداً من الذكور لا يتزاوج مع أية أنثى رغم قربهما من بعض ورغم اظهار الاناث استعداداً تاماً للتزاوج عن طريق اخراج الفيرومون الجنسي وخفقان الأجنحة . ومن ذلك استنتج الدكتور «شوري» بأن الافراط في استخدام الفيرومون يبطل مفعوله ، لأن حاسة الشم لدى الذكر تكون قد تشبعت كثيراً بالرائحة المنتشرة في الهواء بحيث أنه لم يعد يقوى على معايشة أية واحدة من الاناث لأن كمية الفيرومون التي تطلقها الأنثى تكون عادة ضئيلة جداً بالنسبة للكمية المنتشرة في الهواء . لذلك اعتقد الدكتور «شوري» ان اطلاق كمية كبيرة من الفرومونات في حقول القطن تؤدي الى النتيجة ذاتها . وبعد أن جرب ذلك في مساحة صغيرة وجد أن اناث ديدان الملفوف العذراء التي

أجريت تجارب على فيرومونات خنفس الصنوبر استهدفت الاستغناء عن المبيدات الحشرية العادية عن طريق تجميع الآفات ثم القضاء عليها ، وذلك لأن خنفس الصنوبر ، رغم مقاومته للمبيدات الحشرية التقليدية فإنه يستطيع أن يفكك بما مقداره نصف بلون الى ثلاثة بلايين ونصف البلون قدم من ألواح الخشب التجاري في كل عام ، والذي يقدر ثمنه بحوالي ٦٠٠ مليون دولار . وبعد أن بدل الدكتور «وود» الكثير من الجهد والعمل في الغابة ، اكتشف أن مهاجمة الخنافس للأشجار تزداد كثيراً بعد اتصال ذكور الخنافس باناثها ، وأنه حالما يأتي الذكر الى إحدى الأشجار وينشئ بيتاً تحت قشرتها ، تنضم اليه ثلاث اناث . وقد اكتشف الدكتور «وود» أيضاً أن الرائحة التي يطلقها الذكر والتي تجتذب اليه الاناث تصدر عن براز الممزوج بنشارة الخشب . وقد قام الدكتور الكيميائي «روبرت سيلفرستين» بعزل المادة الكيميائية الفعالة في البراز وتركيبها بالطرق الاصطناعية .

وصف إحدى التجارب التي أجراها الدكتور «وود» وفريقه ، في «باس ليك» شمالي كاليفورنيا ، قاموا بتثبيت ألواح خشبية ووضعوا عليها مزيجاً من الفيرومون المكسو بطبقة خفيفة من صمغ خاص وتركوها في غابة تبلغ مساحتها حوالي ٦٥ كيلومتراً مربعاً ، وقد تمكنوا ، خلال شهرين من اصطيد نصف مليون خنفس ، ونتيجة لذلك انخفض عدد الاشجار التي كانت تتلفها الخنافس من ٢٠٠ شجرة الى ٧٣ شجرة في العام . وفي الوقت الذي

— إحدى فراشات دودة القطن التي جرى تعقيمها ملاحظتها في أحد حقول القطن المربوة بالقرب من كروزفيل في كاليفورنيا وذلك لتحكم في عملية تناسل لدى هذا النوع من الفراش .

— مجموعة من البرقات التي جرت تربيتها في مختبر براونزفيل . قد بدأت تتحول الى ديدان . وكان عرض من هذه التجربة هو محاولة التحكم في عملية الدودة القطن الحمراء «Pink Cotton Bollworm»

— خبير في الأمشاب المائية ، واختصاصي في علم الحشرات يتخصصان بفص «خنفس» ملتصق بأوراق شجيرة





١ - نوع من الذباب يتميز بـروز عينية ويستعمل أقدامه الستة المكسوة بالشعيرات كسلة لاصطياد الحشرات .

٢ - فنية في مختبر تقوم بجمع يرقات لبعض أنواع الفراشات التي ستجري تربيتها في مركز «جينيفيل» بفلوريدا ، تمهيداً لاطلاقها في المنطقة الجنوبية الشرقية لمكافحة حشرة الأعشاب البرية .

من إحدى اليرقات بطريقة جراحية ، فإن الدودة ستكبر وتتحوّل إلى خادرة غير كاملة النمو ، ثم تتحوّل إلى فراشة صغيرة جداً محكوم عليها بالموّت خلال وقت قصير . وكان الدكتور «ويليامز» أول من أظهر فائدة هذه الأبحاث التي أجريت في حقل المبيدات الحشرية عام ١٩٥٦ ، بعد أن نجح في استخراج مادة الهرمون اليافع من أحد الذكور ، تلك المادة التي تتجمع لدى بعض الأنواع القليلة جداً بشكل يسهل اكتشافه . وحين وضع الدكتور ويليامز الهرمون الذي استخرجه على الخادرات اكتشف أن الهرمون يتسرب خلال الجلد السليم ، وأن جميع الخادرات ماتت في النهاية دون أن تكمل مرحلة التحول ، ومن ثم أظهرت الأبحاث التالية التي أجراها الدكتور ويليامز ، والدكتور «ريدفورد» في مختبر هارفرد أن وضع الهرمون اليافع على الأنثى النامية أو على البيض الجديد يوقف تطور الجنين داخل البيض وفقاً تماماً . وبالإضافة إلى ذلك فقد تكهن الدكتور ويليامز عام ١٩٥٧ ، بأنه سيصبح ممكناً تحويل الهرمون اليافع إلى مبيد فعال للحشرات وإنتاجه بالطرق الاصطناعية . كما أن النجاح الذي حققه في تجاربه قد شجع بعض المؤسسات العلمية على الاستمرار في تربيته بالمساعدات التي يحتاج إليها . وبعد مضي أحد عشر عاماً ، توصل «هربرت رولر» ورفاقه في جامعة «سكوتسن» الأمريكية إلى اكتشاف طريقة تركيب الهرمون . ولكن نظراً لعدم وجود هرمون اصطناعي يجرون عليه تجاربهم فقد احتاجوا إلى عشرات الألوف من الخنافس . ويقدر العلماء بأن غراماً واحداً من الهرمون النقي يكفي لقتل بليون حشرة . أما الآن فقد توصل الباحثون إلى تركيب هرمون اصطناعي مشابه تماماً للهرمون الأصلي إلا أنه أقل جودة منه ومع ذلك فإن فعاليته كافية لقتل أنواع مختلفة من الحشرات وخاصة الضارية منها . ويجري العمل حالياً على إنتاج نوع جديد من المبيدات الحشرية يدعى «الطوسيد - Altosid» بكميات كبيرة لبيعه في الأسواق التجارية . وما يذكر أن هذا النوع من المبيدات الحشرية يوقف تماماً عملية التحول لدى البعوض وبعض الحشرات الأخرى المشابهة للبعوض ، كما أنه غير ضار بالنسبة لعدد كبير من الحشرات الأخرى . وقد استعملت الشركة المنتجة لهذا المبيد اصطلاحاً خاصاً هو «منظم نمو الحشرة» بدلاً من «الهرمون اليافع» . كما قامت بإجراء الفحوص على «الطوسيد» مثله في ذلك مثل أي مبيد حشري آخر قبل

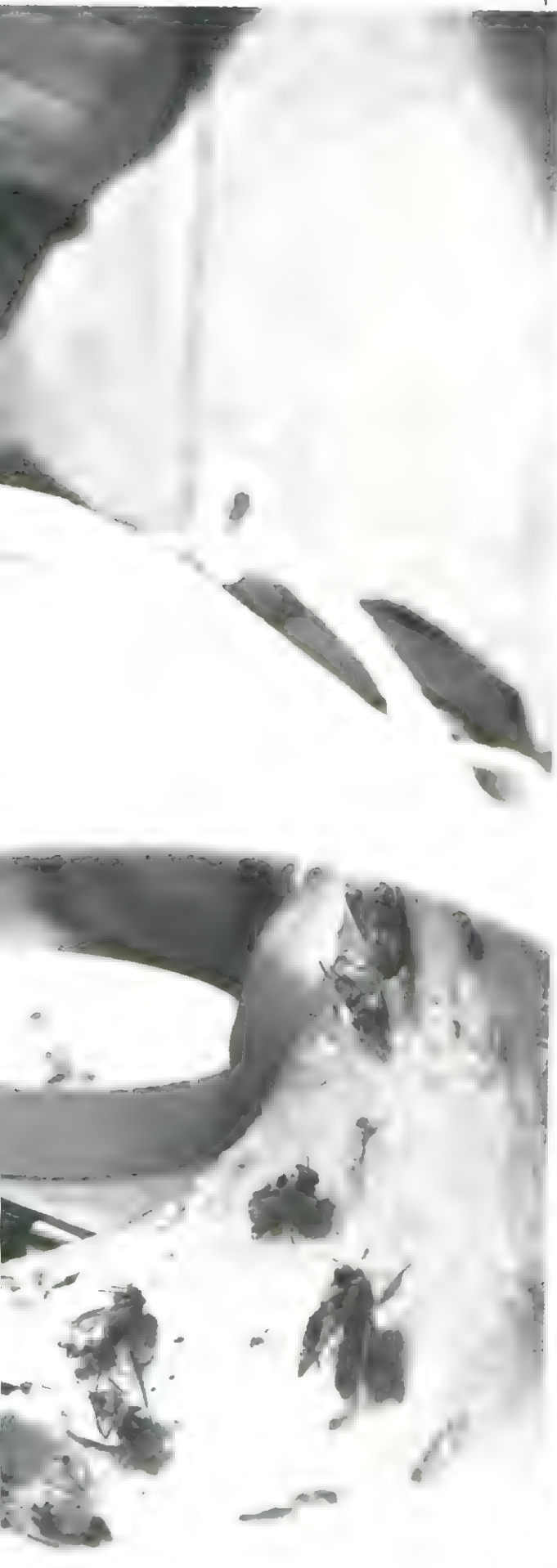
ربطها في المساء لتكون فريسة سهلة للذكور ، وجدها في الصباح ما تزال عذراء : بعد ذلك قام الدكتور شوري وعدد من طلبته المتخرجين بتجارب على نطاق واسع شملت حقل قطن تبلغ مساحته حوالي ١٢ فدائاً فأعدوا ٣٠٠٠٠ انشوطة من الحيطان ، ووضعوا انشوطة بين كل ١.٦ متر مربع من مساحة الحقل ، وكل انشوطة مشبعة بعشرة مبيغرامات من الفيرمونات . واستمروا في تكرار هذا العمل مدة شهرين ونصف الشهر وتمكنوا من اصطياد أكثر من ١١٠٠٠ ذكر في كل مصيدة وضعت فيها انثى حية ، وقد أثبتت التجربة أن رائحة الاناث حين تنتشر بكثرة لا تجذب إليها الذكور . ولم تكن تلك الطريقة الآتفة الذكر ، هي الوحيدة التي اكتشفها العلماء لاصطياد الحشرات . بل هناك طريقة أخرى أكثر انتشاراً تستعمل فيها مجموعة من المواد تسمى الهرمونات اليافعة ، وهي عبارة عن افرازات داخلية موجودة لدى الحشرات ، وهذه الافرازات هي التي تتولى تطوير الحشرات ، وتحوّلها من يرقة إلى خادرة ومن خادرة إلى حشرة كاملة النمو . وقد اكتشف العالم البريطاني «ويجلزورت» عام ١٩٣٦ أن الهرمون اليافع ينجس من غدتين صغيرتين موجودتين في رأس الحشرة ، وأنه يعمل على ابطال مفعول هرمون آخر يدعى «أكديزون - Ecdysone» . وهذا الهرمون هو الذي يحث أعضاء الحشرة على التساقط ويحوّلها إلى حشرة كاملة النمو . ولو لم يكن الهرمون اليافع موجوداً أثناء المرحلة التي تكون فيها الحشرة ما تزال يرقة ، فإن اليرقة ستخضع لمفعول «الأكديزون» فتتحوّل قبل اكتمال نموها إلى خادرة ، ولكن وجود الهرمون اليافع في مرحلة تكوين اليرقة أو الخادرة ، هو الذي يبطّل مفعول «الأكديزون» ويمدد مرحلة النضوج . والجددير بالذكر أن الدكتور «كروول» وويليامز «كان قد أثبتت عملية الأكديزون حين قام بتجربته البارعة التي يمكن لأي واحد أن يقوم بمثلها على بضعة يرقات مثل يرقات دود القز لأنها كبيرة وقوية ويمكن معالجتها بسهولة ، وذلك باستعمال خيطين قوين يشدهما على جسم دودة القز لعزل الأعضاء التي تنتج الهرمون فيوقف بذلك حركة الهرمونات عن باقي جسم دودة القز . كما أنه من الممكن اظهار مدى تأثير الهرمون اليافع على تطور الأكديزون بسهولة إلا أن ذلك لا يمكن توضيحه إلا بعملية جراحية . فلو أن الغدد الصغيرة الموجودة خلف الدماغ أزيلت

٣ - خبيران في مركز خدمات الأبحاث الزراعية الأمريكي يستعملان شباكاً خاصة بجمع الحشرات التي سيجري فحصها في المختبر لتحديد مدى فعالية الدبابير التي أطلقت في تلك المنطقة في القضاء على حشرة البرسيم .

٤ - عالم يضع قطعة من القطن مشبعة بالفيرومون الجنسي الاصطناعي في مصيدة الفراشات العجورية ، بهدف احداث ارتباك لدى الذكور لعدم تمكنها من التعرف بالإناث والتزاوج معها .

٥ - خبير زراعي يفتح الصمام الذي ينطلق منه الطعم الاصطناعي الى وعاء يضم مجموعة من فراشات الفجر ، خلال تجربة يجريها للتأكد مما اذا كانت الفراشات تستطيع التمييز بين الطعم الاصطناعي والطعم الطبيعي .





١ - الدكتور « مورتون بيرور » ، والكيميائية « برباز بيرل » يجريان اختباراً لفصل الألوان ، على طعم فلفل لفراتة نحمر في أحد المختبرات بغية تطوير طعم اصطناعي أكثر فعالية لصيد الفراشات العجورية .

٢ - عالم كيميائي يستحضر مركباً كيميائياً لفحصه ومعرفة مدى فعاليته في تعقيم ذكور الفراشات العجورية .

٣ - عالم حشرات يرفع فراشة من نوع - Army Worm التي اجتذبتها رائحة الفيرومون الجنسي الصادرة عن مصيدة اسطوانية طليت من الداخل بمادة لزجة .

تصوير : « اوثنكتيد نيوز انترناشونال »

مادة قادرة على ايقاف تكوين الغدد الجسمانية ، فضلاً عن ذلك فان ظهور هذه المادة في اليرقات الحية يتفق تماماً مع توقف تلك الغدد ذاتها عن العمل بصورة طبيعية . وحينما يتم التعرف إلى مصدر هذه المادة المضادة للهرمون البافع ، وتركيبها الكيميائي ، ستجري تجربتها أولاً على الدودة القرنية وهي أول أطوار اليرقة ، لمعرفة ما اذا كانت قادرة على احداث ولادة حشرات ممسوخة قبل موعدها ، وبعد ذلك تجري تجربتها على عدد من الحشرات الأخرى لمعرفة مدى تأثيرها عليها بوجه عام .

ان نتائج التجارب الأولية التي أجريت على الفرومونات والهرمونات كانت مشجعة ، إلا أن أحداً من العلماء الذين أجروا تلك التجارب والأبحاث لم يؤكد نجاحها بعد في المستقبل القريب وذلك لأنه ، كلما قام هؤلاء العلماء بحل المزيد من المشاكل العلمية التي تواجههم ، بقيت أمامهم مشاكل عملية تحتاج إلى تدليل عن طريق استنباط أجهزة عملية ومناسبة لمراقبة الحشرات الزراعية على نطاق واسع . ولئن كان نجاح نظريتهم هو الذي شجعهم على المضي في تجاربهم ، فانه ما تزال لديهم آراء أخرى قد حان الوقت لكشف النقاب عنها ، فقد ذكر الدكتور « جون مك كلفي » أحد البارزين في الأبحاث الزراعية أن وقاية المحاصيل الزراعية من الآفات ومراقبة الأمراض التي تنتج عن توالد الحشرات ، تشكل تحدياً مطروداً للعلماء ، كما أن هناك أدلة عديدة تؤكد بأن المواد الكيميائية المستعملة حالياً لن تستطيع أن تؤدي عملها لوحدها وانها قد لا تستأهل التكاليف التي تصرف من أجلها ●

اعداد : زكريا البنا - هيئة التحرير

طرحه في الأسواق . وتجري حالياً تجربته في الحقول الزراعية ضد البعوض في كل مسن كاليفورنيا وفلوريدا ، وغيرهما من الولايات الأمريكية . هذا وقد اقترحت شركة « زوقون » المطورة لهذا المبيد ، أضافته إلى الوجبات الملحة التي تقدم للأبقار ، فيقوم الهرمون غير المتأبض بايقاف نمو الذباب العادي وذباب الخيل الذي يتوالد في فضلات الحيوانات .

ومضاتك مشكلة أخرى مهمة تكمن في طبيعة الهرمون البافع وعلاقته بالحشرات . وذلك أن الحشرة تقع تحت تأثيره وهي لا تزال في طور اليرقة ، فتكتسب مناعة ضد أي كمية أخرى تتعرض لها بعد ذلك . إلا أن الدكتور « ويليامز » لا يعتبر هذا الأمر نكسة هامة بالنسبة للتغلب على بعض الحشرات مثل البعوض الذي لا يشكل أي خطر عندما يكون في طور اليرقة ، ولكن الأمر مهم جداً بالنسبة للآفات الزراعية التي تسبب في أكبر الأضرار للمزروعات عندما تكون في طور اليرقة . لذلك فقد استمر الدكتور « ويليامز » ورفاقه في البحث عن نوع جديد من المبيدات الحشرية يستطيع أن يوقف نمو اليرقات . وقد ركزوا بحثهم بوجه خاص على مبيد مضاد للهرمون البافع ، قادر على تشويه اليرقة وهي في طور التكوين قبل أن تتحول إلى خادرة ، وعن مبيد مضاد للاكديزون ، يستطيع أن يوقف نمو اليرقة .

وبينما تشير الدلائل إلى أن هناك عناصر قادرة على وقف انتاج الهرمون البافع والاكديزون ، إلا أنه لم يتمكن أي عالم حتى الآن من اكتشاف تلك العناصر . ولكن هناك دراسات لم تنتشر بعد أجراها الدكتور « ويليامز » ورفاقه على الدودة القرنية التي تصيب نبات التبغ ، تؤكد انتاج



الزجل

فمنك على الأيتام يحلو الترم
معاليه يضحك على الدهر مأم
وأبعد من فوق القرى المتعم
كانك شهد لم يخالطه علقم
ولا تبخلي فالبخل طبع ملهم
لأنس مهجور ويحيى مقيم
وتغم منك الصقو ، والصقو يغم
فأنت لها الثغر الذي يبتسم
رأت فيك ما يحمي ويرعى ويعصم

تبت الهوى حيناً وحيناً تكلم
وهبت مغانيها التطاف تجم
ويسعدني منها البنان المعتم
وعين من الاشفاق راحت تلم
وتطوي الأمى والحزن جيش عرمرم
فأبصر ما يشفي الضموس التوهم
وأخينا من ظنتها لا تصرم
ولكنها همّ ثقيل ومغرم

وهتمين الغيب ، والغيب مظلم
فيرجع مهذا بالطفولة يحلم

أياربّة الألمان غني ورتمي
أضيئي لنا الدرب الطويل وجددي
وفتر مغموم وينعم معذب
كانك دمع في ثناباه راحسة
فيا ربّة الألمان داوي جراحننا
وجودي علينا بالأناشيد سمحة
وتسعد أرواح تسرى فيك برءها
إذا هاجها في لحمة الحزن هاليج
وان غالمنا من وثبة الدهر غائل

تجسدت الألمان حقاً وأقبلت
فهايتك ليل القلب لاحت خيامها
يترنّ بسمعي ضحكها وحديثها
لمين رنت من رقة الناس خيفة
تطوف علينا بالبشاشة والرضى
فلا تنكر للخيالات والسرورى
حقائق ذقناها فذقنا مرارة
تقضت وما فيها اجتهاج ومغرم

تعودين بالذكرى الى غابر الهوى
وتفترشين القفر شوكتاً وجندلا

للزجل
أنور العطار

الأحسان

وتمرع جنّات وتندي وتنعّم
فأنت لها الركن الذي يتلّم
فهمك تريق وجرسك بلسم
ويسري إليها الحبّ من حيث تعلم
ولكنهم في دارة القلب خيموا
وأشاقهم والدمع في مقلتي دم
« أرى عظماً بالبين والصّد أعظم »
لا طرب الحنان الحياة وأرحم
له من نجاواهم عزاء ومغنم
ولا ابتعدوا عني ولا اعتضت عنهم
وترعى الهوى ، والحب قبر مهدم

ورابضة الطبع الذي لا يقوم
وكاشفة السر الذي ليس يعلم
وما زالت الأحنان تسمو وتعظم
إذا ما سكنت القلب فالقلب موسم
وأني ربيع عبقري ينمّم
وجف فمي إن كان ليس يحوم
إذا لم تكن عمن تشكّي ترجم
إذا أنت لم يسعد بك المتألّم
على شلوها تصفو الحياة وتنعّم
ومن مهدها عطر المحبة ينم

وتمشين بالأرض العراء فترتوي
إذا عصفت بالنفس عاصفة الأسى
وان شفتها السهد المبرح والضنى
يعاودها من حيث لا تعلم الصدى
وما غاب أحبابي الذين افتقدتهم
أحن إلى لقاءهم كلّ شارق
وأستعظم بين المثلث كأنسي
تعمت لحن الشوق منهم وأنه
سيبقى على الأيام زاد مسافر
وأحلف ما أقصى الحمام أحتي
سجدة نفس ترتضي الود خالصة

مهذبة الانسان مما يشوبه
وملهمة القلب الشجي لحونه
سموت على دنيا الفنون رجاحة
ويا موسم الحب الذي غاب نجمه
ربيع من الذكرى ينمّم الهوى
فمي منك حوام على نعمائه
ويا المني ما أنت عني بمنقّض
ويا أملي ما أنت يوماً بمسعد
فما العمر الا نعمة طاب جرسها
على فمها أحلى الأعاليل والمني

دفتار معطرة

بقلم الأستاذ فاضل السباعي

وَوَعَّيْنَا ، يا «وداد» ، وقد تكشف
رغبت زمتاً . أجل . وحين غادرتي كنت
— أنا أيضاً — في مثل حالك تعاسة واغتماماً .
ذلك ما أغدقه علينا حظوظنا ، وان تنوعت
بواعث الاخفاق : فانما منيت بما منيت بعد
أن ازور «ابن عمك» الذي عاهدتك وعاهدته ،
وقد فلتت أشواقه من بعد توادّ وتواصل ، فأما
أنا . فلم تفلّ لفارسي أشواق ، ولا كبا لحبه
جواد . ولكن أهلي — كما تعلمين — هم الذين
خذلوه ، يوم أصرّوا على أن أبقى بينهم عزباء ،
أقدم لهم ، في مطلع كل شهر راتبتي كاملاً
لينفقوه على اخوتي ، وقد فقدنا الأب دون أن
يخلف لنا ما يعين على احتمال تكاليف
الحياة ..

اني لأحار من أين أبدأ رسالتي ، ولديّ
أخبار مما تتوقعين ، وأخبار أخرى عما يسمّى
«بحث تكاليف المعيشة» ، ذلك البحث الذي
قدّر لي أن أعمل فيه إضافة لوظيفتي . . . ان
في جعبتي من الأخبار ، يا أختاه ، ما أتمنى
لو أدرز به عشر صفحات ، عشرين ، بل
قولي ثلاثين ، أسهب غالباً ، وأوجز حين
يتراءى لي الايجاز ، ثم أعود فأستطرد ، دون
أن تفوتني الإشارة ، بين الحين والآخر ، الى
الدفاتر المعطرة ، ممهّدة للمفاجآت ، على نحو
ما تعرفين في صديقتك «المتأدّبة» ، «الثائرة»
«أسماء» !

ما كنت لأستهلّ رسالتي بهذا الذي بدأت ،
لولا استحضاري الدائم لفصول «مأساتك»
و «مأساتي» ! أصف كلا بالمأساة ، ثم
أحسن راحة نفسية ! فاذا شئت تحذلقاً ،
زعمت أننا — أنت وأنا — «ضحيتان» من ضحايا
المجتمع ! (الآن تنزل راحة عظمى على قلبي) .
فأنت ، يا وداد ، ضحية الرجل في عظيم أنانيته ،
وأنا ضحية ظروف من نوع ما : فقدت أسرتي
عمادها ، وقد ترك خمسة يصغرونني ، وأنا
ما أزال في آخر سنوات دراستي في «دار
المعلمات» ، فلما آن لي أن أخرج معلمة ،
ضنّ أهلي — ولم العذر — بأن يزوجوني من
ابن جيراننا «مأمون» ، المعلم الشاب ، الذي
طالما حبس وراء الضلوع اعجاباً صامتاً ،
تكشّف ، في أعقاب تخرّجي ، عن حب
حقيقي ، حين تقدمت أمه تطلب يدي . وكان
لا بد أن تثور ، هنا ، مشكلة الراتب : ما الحال
إذا استأثرت الأسرة الجديدة الناشئة ببعضه ،



أو به كله ؟! وما نفعت التعهدات والمواثيق :
« انه طامع بيتتنا ذات الراتب ! لتبق بيننا ،
آمنين أنها ترعى اخوتها » . وفي ذلك سعت
أمي الى أختها « الحاجة عائشة » (خالتي
العجوز المترملة ، التي لم ترزق بولد ، وان
ورثت عن زوجها المال الوفير) ، فأطلعتها على
جوانب من مشكلتي ، لعلها تتوجع على بنت
أختها ، ففرقت ، وتعين . . . إلا أن الحالة أعلنت ،
بمنطق الذي يحسب أنه عائش أبدي الدهر ،
وهي في سريرها الذي لا تفارقه : « اذا مت ،
فكلوا من تركتي ، وانعموا ، وترحموا علي » ،
أو لا ترحموا ! وأما في حياتي ، فلا تطالبوني
بشيء » ! .

ويحي ! أي استطراد حملني على جناحيه !
هانتذي تصرخين ، حيث أنت ، والرسالة
في يدك ! « وبعد ، يا أسماء ؟ أي لغو ! أفما
أقلعت عن ذميم عادتك ، في المظن والتطويل ؟
ما أجدرك بأن تغدي قاصّة » ! .
ولكن مهلاً ، يا صديقتي ، فلعله أن يكون
استطراداً قصدت اليه قصداً !

فأما ما تعرفين من الأخبار ، فهو أنني
مضيت وإياك ، في الصيف الفائت ، الى حيث
طلبوا. فتيات (معلمات مدارس بصورة خاصة)
ليعهدها اليهن بالمشاركة في ذلك البحث الاحصائي
الاجتماعي الكبير . وساعة بلغنا مقر « المشرف »
على البحث ، رحّب بنا أجمل ترحيب ، ولكنه
اعتذر بأن مراجعتنا له قد جاءت متأخرة . . .
« أما وقد تجشمتما عناء المحيء ، فلا بأس في
أن نقيّد اسميكما في القائمة الاحتياطية » !
كذلك كان حظي في بداية الأمر . ولكنني ،
بعد أن ودّعتك في المطار ، وعدت الى بيتي
دامعة العين ، وجدت في انتظارني كتاباً رسمياً
من المشرف يدعوني فيه لحضور « دورة تدريبية »
في يوم حدوده !

ولبتنا ، يا عزيزتي ، ثلاثة أيام ، ونحن
المعلمات نتلقى من المشرف
محاضرات في الاحصاء ، هي التعليمات الواجب
اتباعها في مباشرة هذا العمل . وقد توضّح لنا ،
في ذلك ، ما يعنيه اصطلاح « بحث تكاليف
المعيشة » ، وما أهدافه ، وكيف يتم اختيار
الأسر التي يجري عليها البحث . . . قصارى
القول — ولن أطيل عليك ، هنا ، خشية
إملالك ! — ان الباحثة الاحصائية تلزم بالقيام
بزيارات دورية لاثنتي عشرة أسرة ، حيث
تتسّم ، في كل زيارة ، دفترًا من الأسرة قد

فصلّت فيه نفقاتها على المشتريات والخدمات ،
خلال الأيام العشرة الماضية ، وتسلمها ، في
الوقت ذاته ، دفترًا ناصع البياض ، لتتابع
تدوين ما يستجد لديها من وجوه الانفاق ، في
الأيام العشرة الجديدة . . . وهكذا دواليك ،
طوال حول كامل .

فهل راق لك البحث ياوداد !
الحق ، لقد راقني — أنا — حتى تمنيت ،
وأنا على مقاعد الدورة التدريبية ، أن يسعفي
الحظ ، فينتقل اسمي ، بقوة سحرية ، من
قائمة الاحتياط الى قائمة الباحثين العاملين .
كان المشرف على البحث ، الذي علّمنا
في الدورة وأحسن تعليمنا ، شاباً أقرب الى
الكهولة . وكان عارفاً مستنيراً ، ومرحاً لطيفاً . . .
(لا تظنّي ، ياوداد ، فان في بنصر يسراه خاتماً ،
ما يفتأ يلتصع كلما أشار بيده في المحاضرة !) .
أقول : موظف مستنير عارف بدقائق
بحثه ، وقد بسّطها لنا مستوفياً لإياها ، ومبيناً
أهداف البحث : « ان الدولة الحديثة تُبنى على
التخطيط ، والتخطيط لا ينهض الا على الرقم
الاحصائي الصحيح . . . وبهم الدولة ، كل
دولة . أن تعرف في ما تعرف : ما وجوه الانفاق
عند الناس ؟ ما السلع ، ما الخدمات ، الذي
يزيد الطلب عليها ، في المدن وفي الريف ؟ ذلك
ما يضع الدولة أمام جملة من الواقع تبني على
أساسها مشروعاتها . . . » .

وبصّرنا بما يمكن أن يعترض سبيلنا من
المناعب . فالتاس ، في دول العالم الثالث بعامة ،
أقل تقديراً لمعطيات الرقم الاحصائي . . . ومن
هنا ستجابهنا بعض الأسر المبحوث فيها ،
بعضيان من نوع ما : « ولماذا نكشف لك ،
يا آنسة ، عن أسرار معيشتنا ؟ (كذلك ستقول
لكن ربّات البيوت غداً) ما تنوي الحكومة
أن تفعل بهذه الدفاتر ، بعد أن نملأها أرقاماً ؟
أهنالك ضرر يلحق بنا ؟ بربك أفصحني !! » .
مظاهر مرحة أنه أوصى ، وهو
يحاضر ، بأن توقف الباحثة ،
خلال عام البحث ، مشروع زواجها ، ان
كانت موشكة أن تتزوج ! لماذا ؟ لأن منزل
الزوجة سيحول بينها وبين أن تولي البحث جلّ
اهتمامها . والعمل فيه ذو شقين : عمل
« ميداني » ، وهو تلك الزيارات الدورية التي
لا تفتر ، وآخر « مكتبي » ، أو بالأحرى
« منزلي » ، وذلك حين تعتمد الباحثة الى
« تفريغ » محتوى الدفاتر كلاً في « استمارة »

معدّة لذلك : فما اشترته الأسرة من الخبز ،
مثلاً ، خلال الأيام العشرة ، يجمع وينزل في
الحقل المخصص لهذه المادة ، وكذلك الخضار
بأنواعها ، واللحوم ، وكل خدمة من الخدمات . . .
حتى اذا طرقت « وصيّة » المشرف مسامعنا ،
وقد قدّمها البنا في لجة هي بين الجلد والمزاح ،
ضجّت القاعة بالضحك ، وفي ذلك ترامت
اليّ ، من وراء ، همسة تمتمت بها شفتا معلمة
شابة شوب

— ويبي ! ظلّ خطيبي أربع سنوات ، وهو
ينتظر تخرجي الموعود من دار المعلمات !
ولست أدري كيف تلتقطت أذنا المشرف
هذه الهمسة ، على خفوتها . . . فاذا هو يسرع
الى التعليق ، بصوت صريح العبارة واضح النبرة :
— في هذه الحالة ، يسمح للهامسة وحدها
بأن تتزوج ، في عام البحث ، استثناء من
القاعدة !

على أن المشرف بدلي ، في أعقاب الدورة ،
على كثير من اللطف والكياسة : لقد جعل ،
هو حظي يسعفي على نحو ما تمنيت ، فعيّني
باحثة احصائية ، مسنداً اليّ العمل في حي من
أحياء دمشق ، لئن كان بعيداً عن منازلنا
(يقضي الوصول اليه أن أستقلّ خطّين من
خطوط المواصلات) ، فبحسبي أنني ظفرت
بدور أوديه في هذا البحث الذي استهواني ،
لقاء أجر شهري يعادل ربع راتبي !

أقول ، يا غاليتي ، ان البحث استهواني .
واكن كان عليّ أن أحتمل في سبيله مشقة ،
وأنا التي حسبت العمل في هذا البحث هناءة
موصولة . فاذا استثنيت ما أهדרه من وقت في
خطّي المواصلات ، ذهاباً وإياباً ، في أيام
الزيارات ، فتمتة السير أحياناً في طرقات ضيقة ،
وأزقة ملتوية تعتم قبل أن تغرب الشمس ، وثمة
أدراج موحشة ، وطوابق شاهقة الارتفاع ،
وبنايات ينأى بعضها عن بعض ، وليس يغيب
عن البال ما في ذلك للفئاة من حرج ومن ضيق .
وفي مكابدتي لهذا العناء كله ، حدثت خالتي ،
وهي على فراش المرض ، بما أمارس من عمل
لقاء أجر اضافي يعيني على إعالة اخوتي . . .
فانقرجت أساريرها عن الرضى ، وقد وعت
حديثي ، وقالت :

— مليح ! مليح ! أنت صبية شاطرة ،
يابنت أختي !
عدت أصرخ في أذنها ، وانها لثقيلة السمع
كما تعلمين :



— ولكنه عمل صعب ، يا خالتي . انه يربكني .
فباركت همتي ، وهي تسحب اللحاف
حتى عنقها :
— لا بأس ، يا أسما ، لك الثواب في الدنيا
والآخرة .

أرأيت ، يا صديقتي ؟ خالتي تريد الثواب
لي — أنا الشابة !

وان أجهدت نفسي في أداء عملين اثنين
معاً ، مؤجلة في ذلك زواجاً حلّله الله بين
قلبين ، ولا تريد الثواب لنفسها — وهي قدم
في الدنيا وقدم في الآخرة — بأن تمدّ يد العون
لأبناء أختها بالقليل مما تملك ! فلا مضى في
جني الثواب لنفسها ، ولتبعده هي عن آخرتها .

هأنثذي ، عزيزتي ، تتساءلين بينك وبين
نفسك : « وأين من هذا اللغو حديث ، قدمت
لي عن دفاتر معطرة ، أثرت به خاطري ،
وأيقظت الهاجع من أحاسيمي ؟ إن هذه إلا
شقيقة لسان ، تسفحها على صفحات تبعتها
بها ، من على ضفاف بردى ، التي أنا المرهقة
الأسوانة التي نفت نفسها الى هذه البلدة النائية
التي تحيط بها كثبان رملية » .

مهلا ، يا وداد . لعل ما يبدو لك ،
بالحال الآن ، لغواً أو ثرثرة ، ان هو إلا
استطراد يقضي بي الى أن أستعيد — وأنت
معي — تلك الرائحة العطرة التي تضيّعت من
تلك الدفاتر ، مرة بعد مرة ، حتى حملتني على
أن أقص عليك خبرها كله ! وكيف يسوغ
بغير ذلك « التمهيد » ، أن أمضي فأحدثك
عن أنه كان ، في الأسر التي أنيط بي التعامل
معه ، الموسر ساكن البيت الأنيق ، والفقرير
الذي تعثر حظه فلم يجد الزمان عليه بسوى
سكنى غرفة معتمة ، أو جزء منها ، في دار
قديمة آيلة للسقوط !

وعلى حين أبدت معظم الأسر — وقد
اختبرت بما يسمى « العينة العشوائية المنتظمة » —
استعدادها للتعاون معي منذ زيارتي الأولى لها ،
فان بعضها بذل جهداً في التفتت من البحث
دون أن يعوزه تقديم الحجج التي يحسبها دافعة
لا تحتمل جدالاً : فأسرة ، عمادها رجالان
وشقيقة لهما ، يتعلّون بأنهم لا يشكلون « أسرة »
ما داموا جميعاً « عزاباً » ! ولكنهم عجزوا عن
اجابتي عما يسمى ، اذن ، « تجمّعهم »
الصغير هذا في البيت ؟ ورجل يطلعي على
تقارير طبية تؤكد أن كرياتة الحمر كانت
ملايين خمسة فأصبحت ثلاثة ، فهو اذن في

حلّ من أن يذلّ ، مساء كل يوم ، دقائق
خمساً أو عشراً ، في تدوين مشربياته في الدفتر ،
« حرصاً على صحته » ! وليس غريباً ، بعد
هذا ، أن يستفصحنى تاجر ، عما اذا كانت
الدولة لا تهدف حقاً ، من وراء معرفتها وجوه
الانفاق في بيته ، الى أن تتعرف الى مقدار
« دخله » ، تفرض عليه بالتالي ضريبة
أعلى ! !

أدري كيف تيسر لي أن أغدو في
زياراتي المتوالية للأسر ، مرجعاً لهم في
شؤون حياتهم ، على اختلاف تلك الشؤون : فمن
أم ترجوني أن أفنع ابنتها بأن تتلطّف في معاملتها
لحظيها ، الذي لا ترغب في الزواج منه لأنها
تحب آخر ، الى شابة ، تخرّجت من الجامعة
حديثاً ، تسألني عما اذا كان من نتائج هذا
البحث ، أن تسعى الدولة الى توظيف من يطلب
عملا من المواطنين . ولعل أطرفهم ذلك الذي
جابهني بسؤاله :

— ولماذا تدورين علينا ، نحن الفقراء ؟ عليك
بالأغنياء ، الذين يأكلون اللحم والشحم والسمن
العربي ، فاسألهم عن مصروفاتهم ؟
ثم انه يسلمني رسالة موجهة الى « الحكومة »
استطعت بعد الجهد أن أفكّ الخط فيها ،
وهذا نصّها :

« لحضرات رجال الحكومة الأكارم
بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
لماذا الاحصاء في الأحياء الفقيرة ومأكولهم
معروف :

صباحاً : قول ومبتحة وشاي ، على
حسب الحال !
ظهراً : برغل مع خضار ، على حسب
الحال !
أما المساء : فلافل ومخلل ، على حسب
الحال !

ومحليهم : عنب وبطيخ اذا وجد ، أو
خيار ،
سبحان العليم !

اذا أمرتم غيراً ومعيشتنا ، حتى نصير مثل
الأغنياء ، نأكل فراريج وفريكة بلحم الضأن
وفطائر مشكلة ، ونتحلّى بالكنافة والبلاوة ،
لحتى قلوبنا تقوى ،
والسلام عليكم سيدي .

مديلاً ايهاا بتوقيع : « المجذوب اليه
تعالى » !
وما يحزنني ذكره أن صاحب أسرة — وهو
شيخ عاجز يعيش هو وزوجته وابنته الشابة العمياء

على صدقات أهل الاحسان — قد ترمي له أن
يجمع ، آخر الشهر ، ما صرف على معيشته ،
فهاهنا أن يجده مبلغاً من الضالة الى حد أن
طارت نفسه جزعاً . . . واذا هو يستقبلي دافع
العين :

— أنت نكّدت عيشتي !
— لماذا ، يا عماء ؟
— لأنك فتحت عيني على ما كنت غافلاً
عنه . كنت آخذ من الأجوايد ، وأنفقت في
صمت . وأما الآن ، فقد أدركت في أي ضنك
أعيش ! لماذا فعلت بي ذلك ، يا بنتي ؟ !

« ولما »
أن ذهبت ، في ذلك اليوم ، الى
التي ، حكايته على زميلاتي في المدرسة ، فلانت
القلوب ، وجمعنا له مبلغاً ، حملته احدانا اليه ،
دون أن تعلمه أي وراء هذا الصنيع . وقد نوينا
أن نقدم له مثله ، مطلع كل شهر . فهل فعلنا
خيراً ، أم أننا أخرنا ما يريد الفقراء ؟ !

وهل أحدثك بخبر تلك الزوجة ، التي
راحت تتهم رجلها بسعيه لدى الحكومة ليضع
أسرته في نطاق البحث ، ويضعها هي في
« امتحان » ؟ كان قد مضى على زواجها منه
سنوات عشر ، دون أن تنجب له ولداً . وقد
دأب الزوج ، الراضي على كل حال ، على
أن يسلمها مصروف البيت ولا يراجعها فيه .
فلما أوجب البحث عليها أن تملأ الدفاتر
بتفصيل ما تشتري وما تدفع ، توهّمت أن
زوجها انما قصد الى أن يعرف كم تنفق على
البيت ، وكم « تدّخر في غير علمه » ،
فيضبطها متلبساً « بالخيانة المالية » ، فيجعل
من ذلك مبرراً لطلاقها ! ! . . . أم أحدثك عن
ذلك الخياط ، الذي يصرف على أسرته كل
ما في الجيب غير عارف مقداره ، وقد اكتشف ،
في ظلّ البحث ، أنه ينفق مبلغاً أضخم مما كان
يحسب ، فاذا هو يلوي على زوجته وبناته
الخمس ، معتمداً ومنتهماً ايها بالاسراف
والتبذير !

وانها لطريفة حكاية الأرملة العجوز ، التي
اعتاد بقال الحي أن يحمل اليها يومياً ، بعد
هاتف يتلقاها منها ، كل ما تحتاج اليه . وانها
لترجوه ، مع بداية البحث ، أن يوافيها
بـ « فاتورة » بالمشتريات . . . ويوم آن له أن
يعلم أن زبونه الطيبة تنقل قواتيره — بما فيها من
« أسعار » ! — الى دفتر تسلمه الى « الحكومة » ،
خاف على نفسه مغبة ذلك ، فكان أن حذف
اسم العجوز — وانها لقعيدة بيت — من قائمة

زبائنه ، حامداً لنفسه اكتشافه الأمر قبل أن يقع لقمة سائغة في فم «وزارة التموين» !! وأما الأسرة الرقم «١٠» (بت أسمي الناس بالأرقام ، فقد غدوت «إحصائية» حقاً !) ، فإن أمرها معي لا يخلو من غرابة : سيدة نصف ، تتسم بكثير من الطيبة والسذاجة ، لم يبد لي — من بيانات الأسرة التي قدمتها في بداية البحث — أن أحداً يعيش في بيتها غير زوجها الذي لم تقع عليه عيني ، ولكن ... ما بالها تسلخني الدفتر ، في كل مرة ، وقد فاح منه عبير أخاذ ؟! (هأنذا أصل الى الحديث عن الدفاتر المعطرة !) حتى اني أكاد أشفق من حملها الى بيتي ، خشية أن يسألني أخي الأصغر «عادل» عن سر هذا الدفتر المعطر ، وليس عندي من اجابة أنعتل بها ! والحق . لقد شغلني هذه الأسرة عن أمري . فكنت أجول ، في كل زيارة ، بطرفي في أنحاء البيت ، مرهقة سمعي ، دون جدوى ! ولا أرى ، في ذلك ، من ربة البيت . الا التكتّم ، والا الترحيب الذي بات يتعاطم ، زيارة بعد أخرى !

ماذا أحدثك ، بعد ، عن سائر أسرّي الأثني عشرة ؟ ان كنت قد أملكك بالذي أسمعتك . فلعلني أبعث في نفسك ابتهاجاً حين أحدثك عن ذلك التاجر (وهو نفسه الذي أبدى مخاوفه من أن تتعرف الدولة على حقيقة دخله ، فتزيد من الضريبة المفروضة عليه) ، وقد انقلب من شكك بالبحث مناوئاً له ، الى متعاون معه ، بل الى «صديق» لي أنا يبتني هموم حياته ... وما هي تلك الهموم ؟ انه في الخمسينات من العمر ، عصامي كما بدا لي من حديثه عن نفسه ، الا أنه قابض اليد حاسوب . استمعي اليه وهو يشكو لي اسراف بنيه وبناته ، فيحدثني — وقد دأب على أن يخاطبني بنداء التجبب المفضل لديه : «عمو» ! — قائلاً :

— تصوّري ، عمو : ان ابني سمير ، طالب البكالوريا ، لا يرضى بالحذاء اذا قلّ ثمنه عن أربعين ليرة وأنا ، أبوه ، أشتري الحذاء ... بكم ؟ (وقام يحضر لي حذاء قديماً زريّاً ، رماه على الأرض تلقائي ، فأثار بذلك غباراً !) احزري بكم اشترته ، عمو ! قلت ، وفي نفسي لو أسدّ أنفي بكلتا أصبعي : — أنا لا أشتري الأحذية «الرجالية» ، يا عمي !

— تابع في مرارة : ١٢ ليرة ! ١٢ ليرة ، والله ! اشترته من بائع متجول في سوق الحميدية . احزري كم مضى علي وأنا ألبسه ؟ عام كامل . عمّو ، هذا جيل شاذ لا يقدر النعمة !

ولست أكنم عنك محبتي لعجوز محنكة . ما تفتأ تبدي حرصاً على أن أتناول لديها ، في كل زيارة . فنجان قهوة ، ثم تقرأ لي ما سطره القدر — كما تقول — في فنجاني . ومن عجب أنها قرأت فحزرت أن شاباً يحبني قد تقدّم لخطبتي . في الماضي القريب ، وأن ما نعا في أسرّي قد حال دون القبول ... فكيف تأتّى لهذه الغريبة أن تعرف ؟ أم أنها استقت ، بوسائلها ، هذه المعلومات عني ، «فقرأتها» لي في فنجاني ، كي تستشير اعجابي !

قلت : ان البحث استهواني . وقد وجدت فيه متعة بالغة . الا أن ما أحتمل في سبيله من المشقة قد أخذ يتعاطم على نحو أكبر مما كان في حسابي ، ولئن كان قد ابتدأ مع بشائر الخريف ، فان ما يستقبلني منه ، في الغد ، مطر ووحل وزمهرير ! وقد عرضت أمري على المشرف ، فسرّني أن يتفهم مطلبتي ، ويبيدي استعداداه ، لأن ينقلني الى حيّ مناسب متى توفّر الشاغر ، وأنه لتوفّر — كما أكد — عما قريب . بانسحاب باحثة تعمل جوار منازلنا ، ولم يضنّ بالثناء على جهودي التي أبذل في زياراتي للأسر ، وفي تدقيق الدفاتر ، وتفريغها في الاستمارات . ثم لم يلبث ، بعد أيام ، أن أعلمني بأن الباحثة المعنية قد انفكت عن عملها ، بسبب استعدادها للسفر معلمة خارج البلاد .

أنسى فرحتي وأنا أنتقل ، برفقة الباحثة المنسحبة ، بين منازل الأسر في الحي الجديد . وجوه جديدة قيّض لي أن أتعرّف بها ، وبعضها ممن لم توقّق الزميلة السابقة الى كسب مودّتها . ولم يفنني ، بعد أن أنهيت جولتي تلك ، أن أعرج على بيت خالتي : كان المرض قد اشتدّ عليها ، حتى أنها سألتني ، وهي زائغة البصر :

— أين كنت ... يا أسما ؟ — في جولة على الأسر الجديدة ، يا خالتي . وغابت عن وعيها . وتعيّن عليّ أن أبلغ الأمر ، في حيتي القديم ، بانقطاعي عنهم ، مستصحبة باحثة بديلة درّبوها وعيّنوها مكاني . وقد أظهرت

الأسر جزءاً على فراقي ، ولكن ذات الدفاتر المعطرة أسرعت تسألني ، وهي تحاول عبثاً أن تخفي اضطراباً وشي به صوتها :

— ومتى ... متى تنقطعين عن زيارتنا ؟ — زيارتي الأخيرة ستكون في اليوم الأول من الشهر الآتي .

— وكم الساعة ؟ — أجبتهما :

— كالعتاد ... أكون عندك مساء ، في حوالي الخامسة .

لكم أثارت هذه المرأة فضولي ! شهران ، وأنا أتلقّي منها دفاترها معطرة ...

— اسمعي ، يا آنسة : ان ابن أختي ، قد لمحك ذات يوم ، وأنت خارجة من العمارة . فسألني عنك . هو ... في الخامسة والعشرين . وكفت عن الحديث .

وددت لو أسألتها : أهو من يسفح العطر على الدفاتر ، اذن ؟ فضول عارم جاش في صدري . ولكني تماسكت ، فليس من شأن الباحثة الاحصائية أن تعقد مثل هذه العلاقات بينها وبين الأسر ، كذلك لقننا المشرف . وكم تمنيت لو تزيد المرأة ايضاحاً ، ولكنها اكتفت بأن أخذت علماً بموعد زيارتي المقبلة وحسب .

أأصدقك القول ؟ لقد أمضيت ، يا وداد ، أياماً خمسة لم أعش مثلها قلماً الا يوم ردّ مأمون على عقيبه . طفقت ، على غير رغبة مني ، أوازن بين مأمون وبين من يماثله سنّاً ، بين شاب أحبيته فتمتعت عنه لظروف القاهرة ، وبين آخر غامض السمات مجهول ! أتراه يملك مالا يسكّن به خوف أسرّي من صروف الزمان ، ويبيّث في صدر أمي طمأنينة الى أن راتب ابنتها لن تمتد اليه يد بسوء ؟ أم أنه على غنى بقرتي معه في البيت دون عمل ؟ أظريف هو ، مهضوم ، كما مأمون ؟ أم أنه فقط ، غريب الأطوار ؟ يغلب على ظني أنه رقيق الحس ، والاعلام يدل تطويه الدفاتر في بيت خالته ؟ ... خواطر شتى راودتني ، لم أملك لها دفعا !

في جلوتي الأخيرة ، أزور — وهي في

وهلّل «المجنوب» ، لما رأيته ، صائحاً : بكى الشيخ العاجز على فراقي ، وهو يفصح لي — يا للعجب ! — عن يقينه بأنني المبلغ الذي بات يصله في مطلع كل شهر !

وهلّل «المجنوب» ، لما رأيته ، صائحاً :

— يا مية هلا بالحكومة ، التي ستحلينا بالكنافة والبقلاوة ، حتى تقوى قلوبنا .

وعلى حين أصرت الأسرة ، المؤلفة من الرجلين وأختهما العزباء ، على أنهم لا يشكّلون « أسرة » ، وأنهم كانوا في غنى عن أن يسلكوا في هذا البحث الذي يحتملهم « عناء » رصد التفقات اليومية ، فقد شكرتني الزوجة العاقر لما أنزلت على نفسها من سكينه ، كما شكرتني الأرملة العجوز على وساطتي لدى بقال الحي ! وأما الخياط ، أبو البنات الخمس ، فقد أنشأ بخاطبني بمودة :

— لقد لفت نظري ، يا آنسة ، وأنت لا تدريين ، الى أهمية أن ينظّم رب الأسرة حسابه . فانا ، الآن ، أعرف مقدار ما أنفق على وجه التفصيل ، وصرت أعرف بالتالي مقدار ما يدخل جيبي . لقد نويت أن أدخر ، وقد باشرت فعلا . وسوف أستمّر في تدوين نفقاتي ، حتى بعد أن ينتهي البحث . ولكن ، لم تبيئي لنا ، يا آنسة ، لم عذمت على فراقنا ؟ وأما التاجر العصامي ، فقد أعلن ، على مسمع من أفراد أسرته ، بصوت حميم أسيف :

— ولئن أشكو بعدك ، اسراف اولادي ، يا عين عمو ؟!

أجبت مبتسمة :

— للباحثة الجديدة ، اذا شئت ، يا عمي .

— أنراها تصغي اليّ اصغاءك ؟

وأبدت البصارة ، كماداتها ، حرصاً على أن أتناول لديها فنجان القهوة . . . وها هي ذي تقرأ لي آخر ما « سطرّ القدر » في فتجاني ، فنبشّرني بأن شاباً طويلاً ، أنيقاً ، سيتقدم ، في القريب العاجل ، لطلب يدي !! فاذا هي . . . تستحثّ خطائي ، لزيارة الأسرة الرقم « ١٠ » !

كانت المرأة ، تلك التي تعمدت أن أدع زيارتها لآخر الجولة ، تنتظر في بيتها على أحر من الجمر . والحق ، كنت — أنا أيضاً — في مثل حرّها ولظاها ! وقد بادرتني ، غير مخفية قلقها :

— تأخرت . . . حتى خشيت ألا تأتي !

أجبتها ، في لهجة اجتهدت أن أضفي عليها هدوءاً :

— كيف ! ان عليّ أن أجمع ، اليوم ، آخر الدفاتر . . . من هذا الحي . . . الذي نقلت منه . . . (واسترسلت اداري قلقي) حتى أفرغها في الاستثمارات . . .

كانت عيناها مشدودتين الى الباب ،

وكانها تنتظر أن ينفصح ، فجأة ، عن انسان ما ! وكنت أعاني ، أنا أيضاً ، وطأة هذا التوقع ، وأتمنى لو ينفرج الباب ، فيظهر فيه ذلك الشاب الطويل الأنيق ، وقد أضاف خيالي المجنّح الى أوصافه : شعرًا أسود ، وربطة عنق زاهية ، متحدّثاً اليّ بلباقة وظرف ، فيأسرني من الوهلة الأولى . . .

وران صمت ثقيل ، طوال ثواني خلتها ساعات . . . طالبت ، بعدها ، صاحبة البيت بالدقتر . وهنا ، رأيته تتمت بكلمات ، لم أفهم منها الا أنها تستأذني في شيء . ثم هرعت الى خارج الغرفة ، لتعود ووراءها شاب ، في نحو الثلاثين ، يسير متعثر الخطا ، فتقدّمه اليّ :

— اسماعيل ، ابن أختي . . . الذي حدّثتك عنه !

ولا بد من أن أبيت لك ، يا صديقتي الغالية ، أن اسماعيل هذا . . . لم يكن طويلاً ، بل قصيراً أكرش ! ولا كان ذا شعر بما في الكلمة من معنى ! ولم تكن ربطة عنقه زاهية ولا معقودة بعناية ! وأما ما تلفّظ له لسانه ، فكان كلمتين اثنتين : « مساء الخير » ! ثم جلس تلقائي ، مطرقاً نديّ الجبين (وكانني أنا الخاطب ، وهو العذراء في خدرها !) وأخذ يختلس اليّ نظرات ، كيف أصورها لك ! وقد أرسلت وأنا أمثحته بعيني ، نظرة فاحصة الى قدميه : وياله ، يا وداد ، من حذاء ! لقد ذكرني بذلك الذي اشتري ، باثني عشرة ليرة ، من بائع متجول في سوق الحميدية ؟!

وانطلقت عائدة الى بيتي ، وأنا أسائل نفسي عما اذا كنت قد خنت — بالفكر — جارنا مأمون ، اذ تقبّلت نفسي فكرة أن أستبدل به شاباً آخر ؟! وأيقنت أن عليّ أن انتظر كرور السنين ، الى يوم يشبّ اخوتي ، فيستغنون عن معوتي . . . اذ ذاك يكون لأهلي أن يقبلوا طلب مأمون ، ان هو ظل — حتى ذلك العمر — على العهد مقيماً !

فهل تراني أفلحت ، يا وداد العزيزة ، في اجتذابك الى صفحاتي الطويلات ؟

هأنثذي تتسألين ، بعد طويل الصبر الذي بذلت في الاصغاء اليّ : « وأية مفاجأة ! » ، وقد دار في خلدك — ولا ريب — أنها ستكون بين يدي ذلك المجهول الذي دأب على أن يضمخّ بالعطر دفاتر خالته !

ولكن لرسالتي — اذا ظلت تحسنين

الاصغاء اليّ ، يا عزيزة — بقية ذات أهمية : فبعد أن وصلت بيتي ، في ذلك المساء الذي لن تمحوه الأيام من ذاكرتي ، لاحظت غياب أمي ، أجل ، وقرأت في وجوه اخوتي وجوهاً وكآبة : كانت خالتي الحاجة عائشة ، قد . . . فارقت الحياة .

ولأنني حريصة على أن تظل رسالتي هذه ، مفعمة بالصدق والصراحة ، غير مشوبة بالزيف والرياء ، أعترف لك بأنني لم أحسنّ نأمة حزن تختلج في صدري ! وأما ما دار في خاطري ، منذ تلك اللحظة ، وأما ما امتد في أفق خيالي ، فهو حياة جديدة تغمر أسرتي بالسعادة وتغمرني : أن يعيد مأمون الكرة ، فيلقى ما ينشئ من استجابة ! أنراني أناثية ، يا وداد ؟ أم أن الظروف القاسية ، التي تصافرت عليّ حتى الأمس القريب ، هي التي أوصدت مغاليق قلبي فحالت بيني وبين أن أستشعر حزنًا على موت خالتي ؟ أفلم تكن المرحومة تردد على مسامعنا ، حتى وهي على فراش الموت : « اذا مت فكلوا من تركتي . . . وترحموا ، أولاً . . . » !

عليك رحمت الله ، يا خالتي ، فان ما يصيب أختك — أمي — من تركتك ، هو دار يسكنها أولادها ، وثروة صغيرة تعينهم على اجتياز فلوات الحياة ، الى أن يشبوا ، ويتخرجوا من دراساتهم الجامعية . وعاود أهل مأمون اتصاهم بنا . وما خاب أملي : فانما مأمون ، وليس سواه ، هو الشاب الموعود : الطويل ، الأنيق ، الذي سيتقدم ، في القريب العاجل ، لطلب يدي !

ذلك ما أردت أن أقصّه عليك من خبري . فأما ما يخصّك أنت ، يا وداد ، فان الخبر الموثوق ، الذي تنتهي اليّ أمس الأول ، هو أن ابن عمك . . . قد بدت خطبته لسواك غير موفقة ، فبعد « الاملاك » الذي كان ، وفرحته الكبرى بكزّه الفريد ، تبيّن له أنها . . . ماذا أقول ؟ . . . لقد كانت على . . . ذلك مالا يجوز أن يسطرّ في رسالة ! ففسخ الخطبة ، يا صديقتي الحبيبة ، وقعد ملوماً محسوراً !

مدرستنا بخير . زميلاتك المعلمات والمديرة يسلمن عليك واحدة واحدة ، وكذلك تلميذات صفك الذي غادرته . أهلي بخير ، تحياتنا جميعاً اليك . وإلى لقاء بجمع الشمل ، قريب ●

فاصل السباعي — دمشق

مياه الأمطار الغزيرة التي كانت تشق طريقها الى البحر مندفعة بعنف تحتجز في «خزان - Reservoir» للانتفاع بها في وقت تشح فيه المياه .

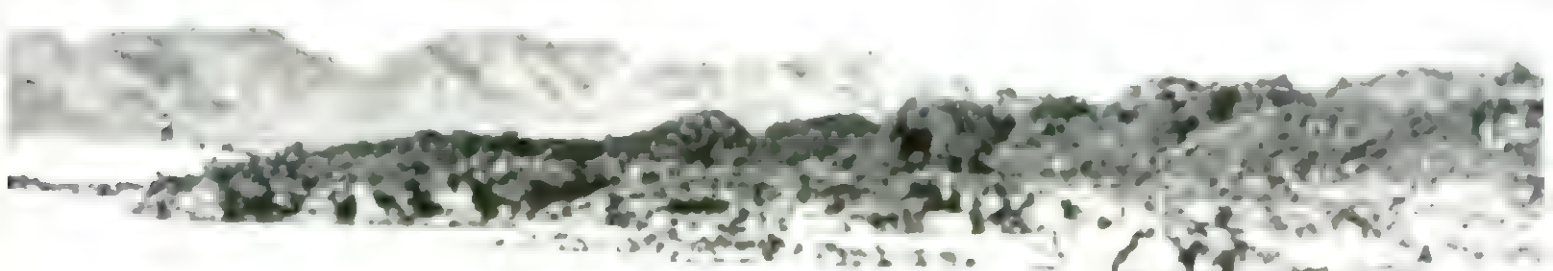
ففي بعض الأحيان تفيض مياه الأنهار كما يحدث بالنسبة لنهري الفرات ودجلة في العراق ، ونهر النيل في مصر ، فتطمر مساحات شاسعة من الأرض وتجعلها غير صالحة للزراعة . والسد هو الوسيلة الوحيدة التي يمكن بها حجز وتجميع كميات هائلة من المياه التي كانت تذهب هدرًا ، واستغلالها في تنظيم عمليات ري الأراضي الشاسعة الواقعة بالقرب من السد

ان أبسط الوسائل للتحكم في مجرى المياه ، هو أن تبني سدًا . والسد في أبسط أشكاله عبارة عن جدار من الأرض ، أو الصخر ، أو الخرسانة أو الصلب ، بل وحتى من الخشب يشيد عبر الوادي ، أو عبر هوة شقها السيل ، لكي يحجز مياه النهر أو الوادي .

كَيْفَ يُمْكِنُ الاسْتِفَادَةُ مِنَ السَّدُودِ

ان النهر الذي ينحدر بشدة الى البحر قد يكون في فصل الشتاء سيلا عرماً يتدفق بقوة ، ولكنه في فصل الجفاف يصبح شحيحاً قليل المياه ، فاذا ما أقيم سد في مجرى النهر ، فان

حاول الانسان عبر الأجيال المتعاقبة التحكم في قوى الطبيعة ، وان تفاوتت في ذلك مستويات نجاحه . ان جهوده في هذا المجال كانت تنتهي على الأرجح الى قدر معين من النجاح وذلك عندما كان يحاول أن يكبح جماح قوى الطبيعة ويملك زمامها ، بدلا من محاولة قهرها والتغلب عليها ، وقد استحوذت هذه المشكلة أفكار الكثيرين من الرجال ، وكان «ليوناردو دافينشي - Leonardo da Vinci» وهو من أعظم العبقريات الميكانيكية والهندسية في عصره ، أحد الذين فتنتهم احتمالات استخدام المياه الجارية المتدفقة .



فتح الخلاء ملكة العربيتي السعويّة

وتحويلها الى أراض زراعية منتجة تساعد بالتالي على ازدهار المنطقة التي يقع فيها السد . وقد قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز « وجعلنا من الماء كل شيء حي » .

والى جانب هذه الفائدة ، هناك فائدة أخرى كبيرة الشأن ، وهي توليد القوى الكهربائية . فعندما تتدفق المياه من بوابات السد بقوة ، فإنها تستطيع أن تدير التوربينات المائية ، التي تشغل بدورها المولدات الكهربائية . ويطلق على الكهرباء التي تولد بهذه الطريقة اسم « القوة الكهربائية الهيدروليكية - Hydro-Electric Power » . ومن المعروف أن جميع السدود

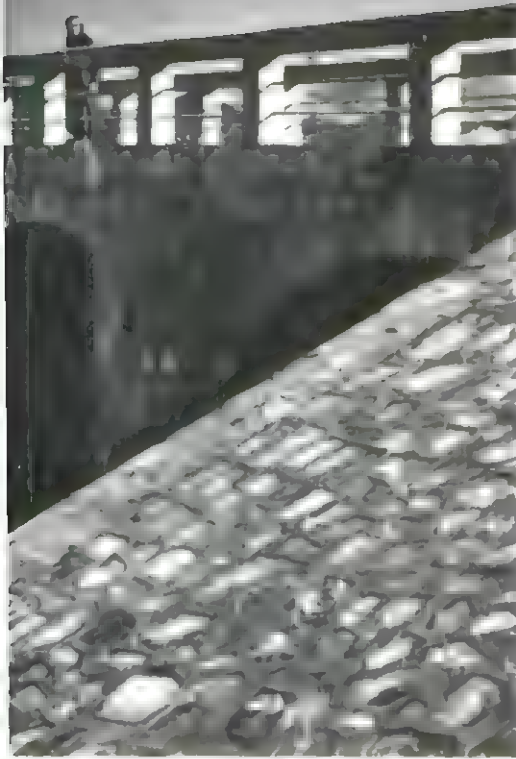
الضخمة المنتشرة في أنحاء مختلفة من العالم مزودة بمحطات لتوليد الكهرباء . ومن المنافع الأخرى للسدود أنها تستطيع أن تجعل الملاحة في الأنهار صالحة لمسافات طويلة ، وذلك برفع منسوب مياه الأنهار وجعلها تتدفق ببطء .

نبذة عن تاريخ السدود

يرجع تاريخ انشاء السدود الى آلاف السنين ، فقد جاء في الوثائق التاريخية أنه كان هناك سد ترابي ضخم على نهر دجلة ، وآخر صخري على نهر النيل ، وقد أقيم كلاهما في

العصور القديمة . كذلك جاء في الوثائق التاريخية أنه كانت هناك سدود في الهند وفي سيلان يرجع عهدها الى عام ٥٠٠ قبل الميلاد . كذلك شيد الرومان سدوداً كثيرة في ايطاليا وشمال أفريقيا . كان الغرض الأساسي من بناء السدود في العهود القديمة هو تخزين أكبر قدر من مياه الأمطار والسيول واستغلالها في ري الأراضي المجاورة ، ولكن بعد أن تمكن الانسان من تسخير هذه المياه في توليد الطاقة الكهربائية ، أصبحت السدود تقام في مناطق نائية غير مأهولة بالسكان ، ذلك أنه أصبح بالإمكان نقل التيار الكهربائي الى مسافات طويلة باستخدام





عبر هوة أحدثتها السيول ، حيث يمكن اقتطاع الصخور اللازمة للسد من جوانب الهوة . فتسقط مباشرة في الموقع . وهذه السدود شبيهة بتلك المشادة بالتراب .

السدود الثقالية

وهي أكثر أنواع السدود انتشاراً ، إذ يمكن أن تبنى في أي مكان تقريباً وهي تشيد من الخرسانة المسلحة . ومن ميزاتها أنها تقاوم ضغط المياه بثقلها وحده . ويعتبر « سد جراند كولييه - Grand Coulee » المقام على نهر كولومبيا في الولايات المتحدة الأمريكية أكبر سد من نوعه في العالم .

السدود العقدية

ويبنى مثل هذا النوع من السدود في الممرات الجبلية الضيقة ذات الجوانب الصخرية الصلدة ، وهو يصنع من طبقات من الخرسانة القليلة السمك . ويتحول ضغط المياه فيها الى الجدران الصخرية عبر قناطر وعقود يتضمنها السد .

ومن السدود الحديثة العهد في العالم العربي السد العالي في مصر وهو يعد واحداً من أعظم المشروعات الهندسية التي نفذت في القرن العشرين . وقد أقيم في أسوان على مقربة من خزان أسوان الذي بني في سنة ١٩٠٢ . ويبلغ طول السد العالي ٣٨٣٠ متراً وعرضه عند القاعدة ٩٨٠ متراً ، ويتدرج على هيئة هرم الى أن يصل عند القمة الى ٤٠ متراً ، وارتفاعه ١١١ متراً فوق قعر النهر . والمهدف من بناء السد العالي هو استصلاح مساحات شاسعة من الأراضي الواقعة بالقرب منه ، وبالتالي زيادة المنتجات الزراعية وتنظيم عملية الري ، ووقاية البلاد من أخطار الفيضانات التي كانت تتعرض لها ، وكذلك توليد طاقة كهربائية تقدر بحوالي ١٠ مليار كيلوواط/ساعة سنوياً .

مشاريع السدود في المملكة

الأرض الطيبة تعطي ثماراً طيبة ، والمملكة العربية السعودية وقد حباها الله سعة في الأرض تسعى جاهدة لتنمية مواردها الزراعية ، وذلك عن طريق استصلاح المزيد من الأراضي القابلة للزراعة . وقد بادرت وزارة الزراعة الى دراسة موارد المياه في المملكة وامكان تنميتها وتنظيمها وتخزينها ، ووجدت أن التحكم في مياه السيول والأمطار عن طريق انشاء السدود هي أنسب الطرق لدرء أخطار السيول والفيضانات التي

الكابلات . وازدياد قيمة الأرض المزروعة بالغلال والحبوب ، أصبح الناس يطالبون ببناء السدود لحمايتهم وحماية أرضهم من أخطار الفيضانات العارمة التي كانت تسبب في اتلاف المحصولات وهدم المنازل والبيوت وجرف كل ما يقف في طريقها .

ومن السدود الأثرية القديمة سد « سيد » بالقرب من الطائف بالمملكة العربية السعودية الذي بناه عبد الله بن معاوية سنة ٥٥٨ والذي ما زال يحتجز كميات كبيرة من الماء . وكذلك سد مأرب في اليمن الذي يقال أن سيل العرم قد دمره ، وما تزال آثاره باقية حتى اليوم .

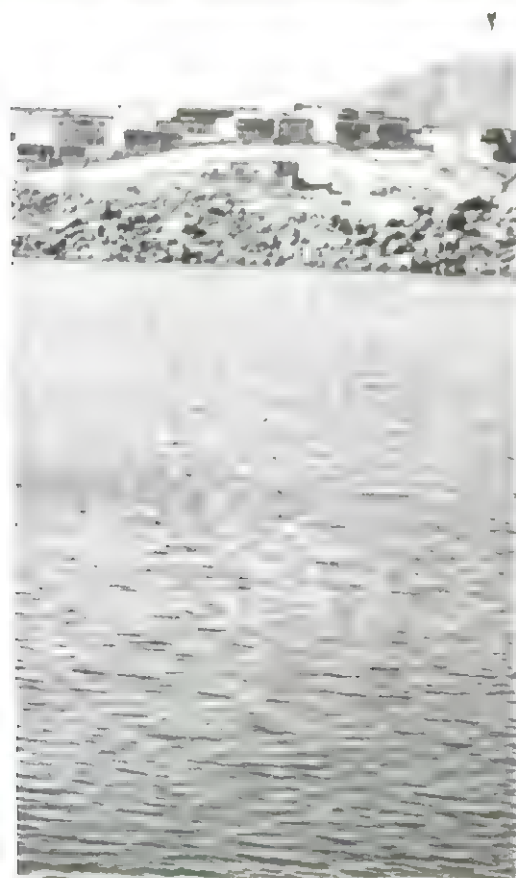
هناك أربعة أنواع رئيسية من السدود هي : « سدود ترابية - Earth Dams » و « سدود ركامية - Rock - Fill » ، و « سدود ثقالية - Solid Gravity » ، و « سدود عقدية - Arch Dams » ويتوقف نمط السد الذي يراد تشييده في مكان معين على عدة عوامل ، منها الطبيعة الجيولوجية للموقع ، وتكوين طبقاته ، والغرض الذي يبنى السد من أجله ، ونوع مواد البناء المتاحة في المنطقة المجاورة .

السدود الترابية

تبنى هذه السدود عادة عندما يكون الموقع غير صالح لاقامة سد خرساني ثقيل الوزن ، وعندما تتوفر في المكان المقادير الكافية من التربة المناسبة لاقامة مثل هذا النوع من السدود . تفرش طبقة من التربة الصلصالية ، أو أي نوع من أنواع التربة الأخرى القليلة المسامية ، في قعر جسم السد على عمق كبير للحيلولة دون رشح المياه أو تسربها من قاعدة السد السفلى . أما جوانب السد المائلة فتكون مسطحة الى حد ما ، وتدعم واجهته المقابلة للتيار عادة بالأعشاب أو الحصباء ، أما الواجهة الأخرى فتدعم بطبقة من الصخور المفتتة . وأكبر سد من هذا النوع في العالم هو سد « فورت بيك - Fort Peck » القائم عبر نهر ميسوري في الولايات المتحدة الأمريكية ، ويبلغ طوله ٣٩٣٣ متراً تقريباً ، ويحتوي على ١٠٩ ملايين ياردة مكعبة من التراب ، أي حوالي مائة مليون متر مكعب تقريباً .

السدود الركامية

يبنى هذا النوع من السدود في المناطق النائية عن مصادر التموين بالاسمنت والتي لا تتوفر فيها أراض صالحة للزراعة ، وهو يبنى عادة



١ - سد عكرمة ويقع على وادي وج بالطائف ، ويكون



برة تتسع للمليونين ونصف المليون متر مكعب من المياه .

٢ - سد أبها ، ويقع على مسافة كيلومترين اثنين من مدينة أبها .

كانت تهدد الأراضي الزراعية والأهالي في كثير من مناطق المملكة . كما أن إنشاء السدود يجعل من السهل الاستفادة من مياه السيول والأمطار التي تضيع هدرًا ، كما أن ذلك يسهم إلى حد كبير في تنمية وتغذية الآبار التي تستعمل لأغراض الري والشرب .

وانطلاقاً من هذا المبدأ ، وبناء على الدراسات الفنية والاقتصادية التي أثبتت جدوى إقامة مثل هذه المشاريع ، قامت وزارة الزراعة والمياه في المملكة بإنشاء عدد من السدود في أماكن عديدة متفرقة في المملكة ، ويعتبر سد وادي جيزان من أكبر وأضخم السدود التي قامت الوزارة بإنشائها حتى الآن .

سد وادي جيزان

تعتبر منطقة وادي جيزان من أهم المناطق الزراعية في المملكة نظراً لصلاحية أرضها ومناخها ومواءمتها لجميع المحاصيل الزراعية الهامة تقريباً . وتأتي موارد المياه اللازمة للزراعة من السيول ومياه

الأمطار الأمر الذي جعل الزراعة في هذا الوادي الخصب تنفرد بميزتين هما : الزراعة البعلية ، وهي التي تعتمد على مياه الأمطار والظمي الذي ينجرف مع مياه السيول ، فإذا جادت السماء بأمطار وفيرة كان الموسم الزراعي جيداً ، وإلا فإن الجفاف يدب في الوادي . والزراعة التي تعتمد على عمليات الري حيث يقوم المزارعون بإقامة حواجز ترابية لتجميع الأمطار ومن ثم استخدامها في عمليات الري . ولكن هذه الطريقة كانت دائماً مهددة بفعل السيول الجارفة التي كانت تأخذ في طريقها هذه الحواجز الرملية وتدمر المزروعات مما يؤدي بالتالي إلى خسائر فادحة تلحق بالمزارعين الذين يعيشون على ما تنتج الأرض من غلال وخضار . ففي عام ١٣٧٢ هـ قام فريق من منظمة الأغذية والزراعة الدولية بمسح المنطقة ، وقد أشارت الدراسات التمهيدية الأولى إلى وجود إمكانات زراعية كبيرة في منطقة وادي جيزان . كما أوصت بإقامة سد في المنطقة لدرء أخطار السيول والفيضانات عنها

وتخزين مياهها بصورة يمكن معها التحكم في هذه المياه وصرفها وفق حاجة الأراضي الزراعية في المنطقة .

يقع سد وادي جيزان على بعد ٥٠ كيلومتراً إلى الشرق من مدينة جيزان وبين سلسلة من الجبال تنتهي غرباً بسهل ساحلي صالح للزراعة ، وقد اختير موقع يدعى « ملاكي » ليكون موقعاً للسد ، ويرتفع هذا الموقع عن سطح البحر حوالي ١٣٥ متراً .

هذا وقد صمم السد من النوع الثقلي وبلغ ارتفاعه ٤١,٦٠ متراً فوق مجرى الوادي وطول جسمه ٣١٦ متراً ، وأما عرض السد عند القاعدة فيصل إلى ٤٠ متراً ، وعرض الطريق المبنى فوق السد ٣,١٥ أمتار .

وقد أقيمت في قاعدة السد فئتان مؤلفتان من أنبوبين من الفولاذ الخاص يبلغ قطر كل منهما ١,٧٠ متراً وذلك لضبط كميات المياه التي يسمح بخروجها من السد لري الأراضي الزراعية .

جانب من سد المجمة الذي أحالت مياهه السهوب القفر إلى مروج خضر .



وتبلغ سعة السد التخزينية ٧١ مليون متر مكعب من المياه يمكن الاستفادة من ٥١ مليون متر مكعب منها في أعمال الري ، كما وتغطي بحيرة السد مساحة قدرها ١٤٠٩ هكتارات . ويعتبر سد وادي جيزان بالغ الأهمية بالنسبة للمنطقة إذ دخلت منطقة جيزان مرحلة جديدة من حياتها الزراعية ، فعن طريق هذا السد يمكن الاستفادة من كميات هائلة من المياه ، وسيكون الآن بالإمكان إضافة ثمانية آلاف هكتار من الأراضي الزراعية الجديدة إلى الرقعة الزراعية المتوفرة حالياً ، كما أصبح ممكناً إدخال محاصيل زراعية جديدة إلى المنطقة من شأنها أن تسهم في رفع الدخل الوطني وتأمين أعمال زراعية لعدد كبير من أبناء الوادي ، إضافة إلى إمكان التحكم في مياه السيول والأمطار وحماية المزارع والمزارعين من الأضرار الجسيمة التي كانت تلحق بالمنطقة ، كما أن من شأن كل ذلك أن يسهم إلى حد كبير في تطوير الأساليب الزراعية واستخدام الآلات الزراعية الحديثة التي تعمل وزارة الزراعة والمياه

على تأمينها للمزارعين وتقديم النصح والإرشاد في كل ما يتعلق بالشؤون الزراعية . كما أن هناك خطة رئيسية مرسومة من قبل وزارة الزراعة والمياه لتنمية الوادي تشمل ، إنشاء شبكات ري حديثة في منطقة زراعية تبلغ مساحتها ثمانين ألف دونم ، وإنشاء مزرعة نموذجية للتجارب الزراعية تبلغ مساحتها ٤٠٠ دونم وتحسين الوسائل المتبعة في الزراعة باستخدام مختلف المعدات والآلات الزراعية المتطورة . وهناك عدد آخر من السدود في المملكة تلعب هي الأخرى دوراً فعالاً في انماء الثروة الزراعية وتغذية الآبار الجوفية في هذه المناطق من بينها :

سد وادي حنيفة

ويقع على بعد حوالي عشرة كيلومترات إلى الشمال الغربي من مدينة الرياض . وكان الهدف الرئيسي من إنشائه هو حماية مدينة

الرياض من أخطار السيول العارمة التي كانت تهددها ، هذا بالإضافة إلى تغذية آبار المنطقة التي تستخدم لأغراض مياه الشرب والزراعة .

وسد وادي حنيفة من النوع الخرساني الثقلي ، ويبلغ طوله بين جانبي الوادي ٥٦٠ متراً وطاقته التخزينية حوالي ١,٥ مليون متر مكعب .

سد أبها

ويقع على مسافة كيلومترين من مدينة أبها ، والغاية من إنشائه هو تخزين سيول وادي أبها لتأمين مياه الشرب ، وهو من النوع الثقلي المصنوع من الخرسانة ويبلغ ارتفاعه ١٣٧ متراً وطوله ٣٥٠ متراً وعرضه ٣,٥ أمتار . ويبلغ الحد الأقصى لتخزين المياه فيه ٢٢٠٠ متر فوق مستوى سطح البحر وتبلغ سعة الخزان عند الحد الأقصى لمنسوب تخزين المياه ٢٨٦ ألف متر مكعب .

سد وادي حنيفة في منطقة الرياض .



سد المجمة

ويقع في وادي نمل على بعد سبعة كيلو مترات من مدينة المجمة، والمهدف الرئيسي لإنشائه هو حماية المدينة من أخطار السيول التي كانت تهدد المنطقة باستمرار ، والاستفادة من مياهه في تنمية موارد المياه وتغذية الآبار المجاورة التي تستخدم لأغراض الشرب والزراعة . وهو من النوع الركامي المضغوط المحمي بركام من الأحجار للأسطح الخارجية ، ويبلغ طول الجزء الركامي ٣٦٠ متراً وارتفاعه ١١ متراً ، وتبلغ سعة السد التخزينية حوالي ١,٥ مليون متر مكعب من المياه .

سد عكرمة

ويقع في وادي وج بالطائف ، ويعمل السد على حماية الطائف من أخطار السيول ، كما يسهم في تنمية موارد المياه وتغذية الآبار وزيادة رقعة المنطقة المزروعة بالخضار في

المنطقة . وسد عكرمة من النوع الخرساني ويصل بين جبلين يمر بينهما وادي وج ، ويبلغ طوله حوالي ٧٠ متراً ، ويكون أمامه بحيرة تتسع لحوالي ٢,٥ مليون متر مكعب من المياه .

سد بطحان

ويقع في وادي بطحان بالقرب من المدينة المنورة وهو من النوع الخرساني الثقلي . وهو عبارة عن سدين غير متصلين على الوادي تفصلهما جزيرة صغيرة من الحصى البركانية البازلتية القابلة لامتصاص الماء . ويبلغ طول الفرع الرئيسي للسد ١٧٦ متراً وتبلغ سعته التخزينية حوالي ٨٠٠ ألف متر مكعب من المياه .

هذا وتخطط وزارة الزراعة والمياه لاقامة عدد آخر من السدود في أنحاء متفرقة من المملكة منها ما هو تحت التنفيذ في الوقت الحاضر ، ومن بينها سد وادي لبه بالطائف ، وسد على وادي حنيفة بمنطقة العلب بالدرعية ، وسد على وادي الريمة بشقراء ويقع على بعد حوالي أربعة

كيلومترات من مدينة شقراء ، وسد على وادي الباطن بمنطقة جلاجل ، ويقع على بعد حوالي أربعة كيلومترات ونصف الكيلومتر من مدينة جلاجل ، وسد وادي بعثران في ثادق ، ويقع على بعد حوالي كيلومتر ونصف الكيلومتر جنوبي بلدة ثادق ، وسد وادي صعب بالطائف ويقع على وادي صعب الذي يلتقي بوادي وج خلف سد عكرمة الموجود حالياً ، وسد الحابر على وادي حنيفة بالقرب من بلدة الحابر ، وقد اختير موقع هذا السد أمام محطة تنقية مياه الحابر بحوالي أربعة كيلومترات .

وبعد، فإن وزارة الزراعة والمياه بالمملكة العربية السعودية تحرص كل الحرص على الاستفادة من جميع الموارد المائية المتاحة في العيون ومياه الأمطار ، وتسخير هذه الموارد لتنمية الثروة الزراعية وذلك تمشياً مع أهداف خطة التنمية الثانية التي بدأت المملكة العربية السعودية في تنفيذها على أسس علمية مدروسة ●

اعداد : يعقوب بن سريته - هيئة التحرير



سد سيسد في الطائف من السدود الأثرية القديمة بناه عبد الله بن معاوية سنة ٥٥٨ .

دور الفـرد في اجمـاعة

بقلم: الأستاذ محمد عبد الرحيم عدس

وذلك من خلال اشتراكه مع افراد الصف في نشاطات مختلفة ، ضمن فريق اللعب ، أو اللجنة الثقافية ، أو الرياضية ، أو المكتبية أو غيرها من اللجان الأخرى .

المعلم ، اذا ما رغب أن يكون له تأثير **وعلى** ملموس في عملية التعلم ، ان يقوي من علاقاته الاجتماعية والشخصية مع طلابه ، وان يتبنى اتجاهاتهم في أي تنظيم مدرسي ، وتكمن الصعوبة هنا في الصراع الذي يحيط بالمعلم بين تصوره لطبيعة دور هذا التنظيم وتصور الطلاب انفسهم لمثل هذا الدور . وكلما كبر الطفل ، وشعر بأن المدرسة تلبى احتياجاته الاجتماعية والسيكولوجية ، ووجد فيها التحدي المعقول لقدراته وقابلياته ، وتقبل الدور الذي تلعبه علاقة المعلم بطلابه وكانت نشاطاته ضمن الحدود التي رسمتها الجماعة ، ووجد في المدرسة مصدراً للمتعة والسرور فضلاً عن كونها مصدراً للعلم والتجربة ، وفي هذه الحالة تخف حدة التوتر التي قد تنشأ بين المعلم وبين طلابه ، اذ من السهل أحياناً ان نحدث تغييراً في الفرد من خلال الجماعة نفسها من أن نحدثه من خلال الفرد نفسه .

وكذلك الأب الذي يفرض على أبنائه سلوكاً معيناً ، ولا يتيح لهم بناء علاقات اجتماعية مع الآخرين ، أو حتى مع نفسه . فلا يصطحبهم مثلاً في رحلة أو في عطلة أسبوعية ، ولا يجلس معهم في البيت يتدارس معهم بعض الأمور ، والذي لا يسمح لهم بزيارة احد ، أو باصطحاب صديق إلى البيت والذي يطلب منهم تقديم

الآخرين ، وينمي لديه مهارات واتجاهات تحظى بقبولهم هو شخص قادر على التكيف مع محيطه بشكل حسن ، قد عمل على ارساء قواعد متينة تضمن له نجاحاً اجتماعياً في المستقبل اذ يعزى فشل البعض في هذا المضمار إلى عدم اكتساب خبرات اجتماعية ، وإلى عدم ممارسة هذه الخبرات مع آخرين من نفس السن .

وأول ما يجابه المعلم في مدرسته انه يقابل اطفالاً من بيئات مختلفة ، ينتمون إلى طبقات متعددة ، كل منهم كان محور اهتمام خاص من أهله . ومشكلة هؤلاء الاطفال هي أنهم لا يقرون بحقوق الآخرين ، ولا يعترفون ان هناك اطفالاً لهم نفس الأهمية والتقدير ، وأن من الواجب ان تؤخذ رغباتهم مثل غيرهم بعين الاعتبار ، ولو على حساب الرغبة الخاصة في بعض الأحيان ، ولذا كان أول واجب للمعلم ينحصر في تثبيت حقوق الآخرين ، والاعتراف بها بشكل تدريجي ، ينمو ويتعمق مع تقدم الحياة المدرسية وازدياد المهارات والقابليات الاجتماعية أثناء الممارسة العملية ، والتفاعل مع الآخرين ، ويمكن القول بصفة عامة ان الذهاب إلى المدرسة هو أهم تحول اجتماعي يصادفه الطفل ، ويمس جميع جوانب حياته قبل ان يبلغ سن البلوغ ، حيث تأخذ دائرة اتصالاته تتسع شيئاً فشيئاً وبشكل نام ومستمر . فينشأ لديه عن ذلك تغير سيكولوجي يصحبه اتجاهات وقيم جديدة ليصبح تركيزه على ذاته ، باعتباره فرداً ينتمي إلى جماعة هي الصف ، وليس باعتباره فرداً قائماً بذاته ،

يعد الطفل في علاقاته مع الآخرين خلال حياته بأطوار مختلفة ، فهو في البداية يتمركز حول ذاته ، ويعطي لنفسه أهمية بالغة ، وكأنه مركز العالم من حوله ، ومصدر اهتماماته ويرى نفسه جديراً بأن يقوم الآخرون على خدمته ، فلا يقدر شعورهم ، او يعترف بحقوقهم الا بالقدر الذي يمس ذلك مصالحه الذاتية ، وشعوره الشخصي ، ولذا تراه يضيق بكل ما يقف في وجهه ، او يحول دون رغباته ، أو يعيث بأمنه واستقراره . وليس بخاف ان من أهم مظاهر النضج الاجتماعي عند الطفل هو باعارته الانتباه للآخرين ، والاهتمام بأمرهم ، وتقدير حقوقهم ، وبالعمل على تلبية احتياجاتهم ، ثم بالاستعاضة عن تحقيق الرغبات الشخصية بتلك التي تهدف إلى الصالح العام ، وإفادة أكبر عدد ممكن من الناس .

وليس الانتماء للجماعة مجرد تنمية علاقات اجتماعية ، أو مجرد مهارة في بناء هذه العلاقات ، وإنما هو فوق ذلك مشاركة مع الجماعة ، وقدرة على القيام بأدوار جديدة ، تمليها على الطفل مركزه في الجماعة ، وقدرته على أن يثبت أهليته لذلك ، بعد أن يخضع للمحك والتجربة ، وقد يضطر إلى القيام بدور بعيد عن رغبته ومبولة ، متمشياً في ذلك مع اتجاهات الجماعة وقيمها الجديدة ، وقبوله القيام بمثل هذا الدور هو دليل على أهمية رغبة الجماعة لديه ، واحترامه لارادتهم .

ان الطفل الذي يقدر على العمل مع

كشف بمصروفاتهم ، إنما هو بذلك يفرض على أبنائه قيوداً ثقيلة تجعل نجاحهم في مجتمعهم ضعيفاً ، ويخلق لديهم اتجاهات خاطئة حين يتصرفون مع غيرهم ، بل وحتى مع أنفسهم ويجعلهم اتكاليين يعتمدون على الأبوين في أي تصرف يحاولون القيام به ، فلا يؤدونه إلا إذا حظي بموافقتهم المسبقة عليه ، كما يجعلهم محدودي النشاط والمشاركة الايجابية مع الغير ، ومثل هذا الابن يكون جباناً ، غير واثق من نفسه ازاء أي وضع اجتماعي يصادفه ، ويفتقر إلى مبدأ تبادل الخبرات الذي يقول (خذ واعط) كما يفتقر إلى عنصر المنافسة وإلى نظام الجماعة . أما الطفل الذي يتحمل المسؤولية ، ويعتمد على نفسه ، ويشارك بشكل واسع في النشاطات الاجتماعية والذي أتاح له أبواه الفرص العديدة ليكتسب منها الخبرات الاجتماعية ، ويصبح له اصدقاء عديدين ، فهو طفل تتاح له فرص النجاح في الدراسة بمراحلها المختلفة ، يحبه الجميع ، ويبحثون عنه أينما كان .

والطفل الذي يضطر لدخول تجربة جديدة ، ويصادف اموراً هي بالنسبة اليه سر مغلق ، فانه يتصرف ازاءها بعدم ثقة واطمئنان ، ويفقد الطمأنينة ، ويأخذ في البحث عن الأمان والقدرة على الدفاع ، فلا يجد افضل من أن ينتمي إلى جماعة تماثله في أوضاعه وتوفر له التجربة والخبرة والتدريب الذي هو بحاجة اليه حيث ينسى في هذا الخضم مشاكله وكأن ليس عنده شيء منها ، وفي هذا ما يقسر سبب تعصب الطفل لفريقه ، ومقاومته لأي

تدخل من جانب الكبار حفاظاً على كيان الفريق الذي يرى فيه حفاظاً على كيانه ، وفي انتماء الطفل لهذا الفريق ما يوسع علاقاته الاجتماعية ويضعف ارتباطه العاطفي القوي بوالديه لينقله إلى أشخاص آخرين هم أفراد فريقه او جماعته . وكل منا قادر على ان يقوم بدورين ضمن مجموعته ، أولهما الدور الحقيقي الذي تقوم به وثانيهما تصورنا الخاص لهذا الدور ، فالطبيب الذي يقوم بجولة على مرضاه ، ويستقبلهم في مكتبه ، إنما هو بذلك يقوم بدوره الحقيقي ، إلا أنه قد يتصور نفسه ذلك الفارس الذي يقارع قوى الشر ، والشخص الذي يقدم الخير للبشرية جمعاء وكذلك الحال بالنسبة للطفل ، فقد يرى نفسه يقوم بدور يختلف تماماً عن الدور الحقيقي الذي يقوم به ، فاذا كان الفارق بين الدورين كبيراً ، أصبح ذلك واقعاً سيئاً بالنسبة اليه ، ولجأ إلى أحلام اليقظة التي تجعل من كل الأدوار شيئاً ممكناً ، وكلما فشل في تحقيق رغباته على صعيد الواقع ازداد لجوؤه لم إلى هذه الأحلام وقل نشاطه الجماعي إلى حد كبير .

اليقظة هذه أمر طبيعي بالنسبة للطفل ، وهي ليست سيئة بالضرورة ، وعلينا ان نتوقعها ، ولكنها حين تأخذ بالتأثير على حياة الانسان إلى حد يتخذ منها ملاذاً يهرب اليه من الحقيقة والواقع ، تصبح حينئذ لها دلالتها الخطيرة في عجز الفرد عن مسايرة المحيد والتكيف معه ، ومع واقع الحياة ، فمن يجد في احلام اليقظة سروراً

كبيراً ، لا ينتظر منه ان يجد المتعة حين يتصل بالناس ، وبالحياة الواقعية ، وسيبدي تذرره اذا طلب منه مواجهة مواقف حياتية تتطلب خبرة اجتماعية ، وحتى ولو كان نجاحه فيها ممكناً اذا هو حاول ذلك ، فأحلام اليقظة اسهل منالاً . ويختلف الأشخاص في قابليتهم العامة ، وفي قدراتهم الخاصة كذلك ، والدور الذي يمارسه الفرد يعتمد على رغبته هو فيه ، أو على عوامل اخرى تفرض عليه القيام بدور معين ، حتى ولو كان ذلك ضد رغبته الخاصة ، وبعض هذه الأدوار مرغوب فيه ، وبعضها مستهجن ، قد نقوم بها عن طوعية واختيار ، وقد تفرض علينا فرضاً ، وبعضها يتحدد بمواهب الطفل الخاصة أو بفعل الحاجة اليه ، أو بكليهما معاً . ومع هذا فالصورة التي يرسمها الطفل لنفسه نتيجة الدور الذي يقوم به تبدو متغيرة وغير مستقرة ، ولكنها تلبى حاجة معينة عنده ، فهي تبعد القلق ، وتجلب له الأمن ولذا كان من الأهمية بمكان ان تزود الطفل بكل ما من شأنه ان يبعد عنه القلق وذلك بمساعدته على القيام بأدوار يقبلها المجتمع ، ومن الخطأ القادح ان نشعر الطفل بأنه غير كفء وان نعد إلى مضايقته بداعي العمر او المكانة او المركز . وقد نجد صعوبة في تقرير ما يجب علينا قوله او عمله للطفل اذا ما واجهته مشكلة خاصة ، ولكن من المسلم به ان نهينه سيكولوجياً لما نريد قوله له او عمله ، وان يكون لدينا مقترحات نزوده بها لمساعدته في التغلب على مشكلته ، او على الأقل نصل معه إلى نقطة يكون هو

قادراً عندها على ما يجلب عليه عمله لما فيه مصلحته ، فلا نتركه وشأنه ، دون اسداء النصيح او تقديم البديل او المقترح المقبول للحل ، فكل من يعتقد بقدرة الطفل أن يتغلب على مشاكله وحده هو انسان لا يستند على واقع صلب في رأيه هذا . ويميل الأطفال دوماً إلى السؤال عن دورهم الاجتماعي ، ويساورهم الشك في امكان الاعتماد عليهم للقيام بدور فعال ، ولا بد لديهم من خبرة سابقة ليكون في الامكان انشاء علاقات مع غيرهم من الأطفال . فالطفل حين يطلب منه أن يقوم بتصرف جديد في موقف معين ، يستحضر في ذهنه ما لديه من خبرات سابقة تساعده على حل مشاكله الجديدة ، ومن ضمنها معرفته بأداب المعاملة والسلوك ، وكفاءته في القيام ببعض النشاطات المعروفة .

وقد دلت الأبحاث على ان كلا من الذكور والاناث له مشاكله الخاصة ، وان كان هناك اتفاق في بعضها فالطفل ينزع إلى التقرب ممن يعتبره مثله الأعلى والذي يكون من الجماعة نفسها ، والا صعب عليه الانسجام مع غيره ، وتصرف بما يصعب تفسيره ، بسبب ارتباط تصرفاته مع بعض مظاهر حياة بطله ومثله الأعلى ، فقد اتفق ان أحد الأطفال كان يرفض خلع لباس رأسه في الأندية والمجمعات وحتى في البيت رغم الحاح والديه عليه ومعلميه ، ثم تبين فيما بعد انه يقتدي بفعله هذا ببطل رفض في حياته خلع لباس رأسه في الأندية والمجمعات .

المسلم به ان لكل سن معينة اهتمامات

خاصة ، وسلوكاً معيناً ، وان كانت لا تتصف بالعمومية والشمول ، ولا يشترط بالضرورة ان تنتقل من شخص الى آخر ، أو أن يهبط هو إلى محيط آخر ، وهكذا كلما اندمج الفرد مع الجماعة وزاد اختلاطه بهم ، ومشاركته في انشطتهم ازداد شعوره بالانتماء اليهم ، واعتزازه بهم وقام هذا الشعور - إلى حد ما - مقام الانتماء للعائلة ، وأهله ذلك إلى الدخول في حياة الكبار والاندماج معهم ، ومن هنا ينشأ سؤال طالما أثار الجدل والمتعة سواء بسواء وهو إلى أي حد تكون الجماعة مفيدة للفرد وإلى أي حد تكون سيئة بالنسبة اليه ؟

هناك اتفاق عام على ان الجماعة تفيد الفرد لأنها توفر له الأمن والطمأنينة ، وتتيح له المجال لظهور كيانه ، وإبراز شعوره بالانتماء اليهم ، والعمل معهم كفريق ثم في المشاركة مع الجماعة في الحياة العامة ، كما تهنيء له الفرصة ليعرف شيئاً عن حقوق الآخرين ، كما توفر له ملجأ أميناً يحميه من دنيا الكبار ومن تدخلاتهم والجماعة فضلاً عن ذلك مصدر يستقي منه العلم والمعرفة ، ويستمد منه الخبرة والتجربة ، وهذه امور تهتم الآباء والمربين ، وكل من يحاول ان يوجه الأطفال نحو سلوك أفضل .

وعلينا نحن ان لا نقوم بتعليل سلوك أطفالنا من وجهة نظرنا نحن الكبار اذا ما اردنا التأثير على سلوكهم بشكل بناء وفعال ، وإنما علينا ان نأخذ بوجهة نظرهم ونظر من هو في سنهم ، فنحكم على أعمالهم من خلال طريقته في الاداء ، لا من خلال طريقتنا نحن .

وحتى يتم هذا لا بد من ان يضع المرء منا نفسه موضع طفله ، وهو أمر ليس من السهل على بعضنا ان يقوم به ، وقد عبر بعض الأطفال عن ذلك بقوله : ان زملاءنا يتفهمونا أكثر مما يتفهمنا آباؤنا .

ولعلنا ندرك ان العوامل التي تجعل من الجماعة شيئاً نافعاً للفرد ، قد تسيء أيضاً اليه إذا كانت أهدأف الجماعة غير مرغوب فيها ، ولا تلبي احتياجات افرادها ورغباتهم ، وأتخطر الأمور جميعاً ، هي النتائج السيكولوجية التي تترك اثرها على الفرد اذا ما طردته الجماعة او أهملته ، أو أسندت اليه دوراً غامضاً ، فقد يتولد عنده شعور بالنقص يؤدي به إلى الانزواء عن الناس رغم ان هناك آخرين يتخذون من فشلهم هذا حافزاً لمضاعفة جهودهم في دنيا الكبار ، وأحياناً ينجحون في ذلك نجاحاً كبيراً .

الختام يجب ان لا يذهب بنا الاقتراض **في** إلى أن كل طفل لا ينتمي إلى جماعة معينة هو طفل فاشل ، وانسان معزول ، فهناك اطفال يحبون العمل الجماعي ، ويقدررون على المشاركة فيه الا ان ظروفهم تمنعهم من تحقيق ذلك ، بسبب وجودهم في مكان معزول ، أو بسبب اضطرابهم للعمل المتواصل بشكل لا يدع لهم مجالاً للاختلاط مع اترابهم ، والتفاعل معهم ، أو بسبب من خجلهم الزائد ، او حساسيتهم المفرطة . وقد يتخذ الطفل من ذلك كله مبرراً لفشله تحقيقاً للمثل الذي يقول :

« قال هذا حامض لما رأى الا يناله » ●

محمد عبدالرحيم عدس - الأردن

أخبار المكتبة

• أصدرت المنظمة العربية للترجمة والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية كتاب «حلقة الترجمة في الوطن العربي» وهو يضم الدراسات والبحوث والمناقشات التي جرت في الكويت بإشراف الجامعة العربية بقصد تسليق حركة ترجمة الكتب في البلاد العربية المختلفة.

ولم تضمن هذا الكتاب دراسات عن الوضع الراهن لحركة الترجمة في الوطن العربي (تونس) والجزائر والمملكة العربية السعودية والسودان والعراق والكويت ومصر والمغرب) ويحوي عن مشكلات الترجمة وكيفية النهوض بها ، وبيانات إحصائية عن حركة الترجمة من اللغة العربية وإليها ، ثم التوصيات التي اتخذتها الحلقة في ختام مناقشاتها . وأشرف على إعداد هذا الكتاب الأستاذ بدر الدين أبو غازي مدير إدارة الثقافة بالمنظمة العربية (اليونسكو) التابعة للجامعة العربية .

• كذلك صدر عن جامعة الكويت كتاب «أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي» وهو حصيلة ندوة شارك فيها مفكرون من البلدان العربية المختلفة . وقد أشرف على تنضيد مادة هذا الكتاب وإخراجها الدكتور شاكر مصطفى .

• من الدراسات الأدبية التي صدرت أخيراً كتاب «الثقافة والفكر في مواجهة التحدي» للأديب المغربي الأستاذ عبد الكريم غلاب ونشر دار الثقافة بالدار البيضاء ، وحواء وأربعة عمالقة ، وفيه دراست الأدبية صوفي عبد الله مؤلف طه حسين ونجيب محفوظ وتوليقي الحكيم والمقاد من حواء ، وقد صدر الكتاب عن الهيئة المصرية العامة للكتاب و «دراسات في الأدب الأندلسي» للدكتورة إحسان عباس ووداد القاضي وأبير مطلق ونشر الدار العربية للكتاب .

• من كتب التراث التي صدرت أخيراً «شرح أبيات سيدي» لابن السيراني وقد حققه في جزئين كبيرين الدكتور محمد علي هاشم ونشرته مكتبات الكليات الأزهرية ، و «الرسالة الألواحية» للشيخ الرئيس ابن سينا وقد حققها الأستاذ الدكتور محمد سويدي ونشرها مركز الدراسات والبحوث في تونس ، و «الرسالة المسجدية في المعاني المؤيدة» لمباس بن علي بن أبي عمر الصنعاني وقد حققها عبد المجيد الشرفي ونشرتها الدار العربية للكتاب .

• الأديب العراقي الأستاذ سلمان هادي الطعمة أصدر الجزء الأول من كتاب «مخطوطات كربلاء» وفيه تعريف بطائفة كبيرة من المخطوطات الثمينة المودعة بالمكتبات العامة وخاصة في كربلاء . وقد صدر هذا الكتاب عن مطبعة الآداب بالنجف .

• صدرت في القاهرة المحاصرة التي أنقاهها الدكتور حسين مجيب المصري في لاهور بدعوة من حكومة باكستان بعنوان «إقبال والعالم العربي» باللغتين

العربية والانكليزية وقامت بنشرها مكتبة الانجلو المصرية .

• جمع الأستاذان الجليلاني بلحاج يحيى ومحمد المرزوقي المقطوعة الشهيرة «باليل الصب» وكل ما قيل من شعر في معارضتها ، وهي ثاني محاولة من هذا النوع ، إذ سبقتها محاولة رائدة من الأديب الراحل محي الدين رضا الذي نشر القصيدة وعشرات من معارضاتها في كتاب نفيس . وقد صدر الكتاب الجديد عن الدار العربية للكتاب .

• مجلة «الشرق» التي كان يصدرها في سان باولو الأستاذ موسى كريم باللغتين العربية والبرتغالية أصدرت آخر أعدادها ، فخصصته لذكرى مؤسسها الذي توفي من عامين ، ثم كلفت عن الصدور ، لمات باحتجاجها صوت عربي جهير في المهاجر الأمريكية .

• من كتب السير والتراجم التي صدرت أخيراً «الفارابي في العراق» للأستاذ عبد الحميد العلوجي ونشر وزارة الاعلام العراقية ، و «ابن خلدون وعلوم الاجتماع» للدكتور محمود عبد المولى ونشر الدار العربية للكتاب ، و «المتنبي ماله الدنيا وشاغل الناس» للدكتور محمد التونجي وطبع سورية ، و «الأفغاني فيلسوف الوحدة العربية» للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف ونشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، و «أمية ابن أبي الصلت» للأستاذ بهجت عبد الغفور الحديدي ونشر وزارة الإعلام العراقية ، و «شخصيات» وهو تعريف بطائفة من المشتغلين بالفكر والفن للأستاذ محمود عوض ونشر دار المعارف في سلسلة «اقرأ» .

• كتابان علميان عن الكون صدرا أخيراً عن الهيئة المصرية العامة للكتاب هما «الكون ذرة وحركة» للدكتور سيد رمضان هدار ، و «قصة الكون عجب وبهاء» لكليفورد سيماك وترجمة الدكتور عبد القوي زكي عياد ومراجعة الدكتور جمال الفندي .

• من كتب الخطوط التي صدرت أخيراً كتاب «مهنتي الابتسام» للصحفي الأستاذ عبد الله الشبي ونشر دار القيس بالكويت ، و «كلمات» للأستاذ البشير المجذوب وتقديم الأستاذ محمود المسعدي ونشر الدار العربية للكتاب ، و «عل مرمى البصر» للأستاذ يوسف القويري ونشر الدار العربية .

• «تطور الفكر المحاسبي» عنوان كتاب في علم المحاسبة وضعه الدكتور عمر السيد حنين ونشرته دار الجامعات المصرية .

وللأستاذ موسى حقي كتاب كبير مخطوط عن الاتجاهات الجديدة في المحاسبة .

• «الإدارة بالأهداف والنتائج» دراسة للدكتور سيد الهواري نشرتها مكتبة عين شمس

• في الأدب الروائي بفنونه ظهرت الكتب التالية : «حضر المحترم» رواية للأستاذ نجيب محفوظ أصدرتها وزارة الثقافة السورية ، و «زينة» رواية للأستاذ مهدي النجار صدرت عن مجلة الثقافة العراقية ، و «عندما ينهال المطر» رواية للأديب ابن الواحة نشرتها الدار العربية للكتاب ، و «نهاية الأسس» رواية للأستاذ عبد الحميد بن هدوقة نشر الشركة الوطنية بالجزائر ، و «حكاية الظل القديم» رواية للأستاذ جورج سالم نشر اتحاد الكتاب العرب بدمشق ، و «وفجأة أبداً بالصراخ» مجموعة أقاصيص للأديبة سهيلة داود سلمان نشر المكتبة العصرية ببيروت ، و «زمن الصمت والفضاء» أقاصيص للأستاذ سليمان فياض ونشر دار الآداب ، و «طوبى السماء» أقاصيص للأستاذ فهد الأسدي ونشر وزارة الاعلام العراقية ، و «زمن الزخارف» أقاصيص للأستاذ سمير الهادي ونشر الدار العربية للكتاب ، و «أوديب» مسرحية للكتاب اللاتيني سينيكا أعدها للشرح الانكليزي تهذيب وترجمها الى العربية الأستاذ يوسف الشاروني وراجعها الأستاذ محمد الحديدي ونشرتها وزارة الاعلام في الكويت .

• من الكتب التي تتناول علوم الصناعة ، صدر أخيراً كتاب «تنظيم وإدارة النقل» للدكتور سعد الدين عشاوي ونشر مكتبة عين شمس ، و «التكنولوجيا والإدارة والمجتمع» لبيتر دروكر وترجمة الدكتور صليب بطرس ونشر الهيئة المصرية .

• صدر في بغداد كتاب عن «نشأة الخط العربي وتطوره» للأستاذ محمود شكر الجبوري .

• من الدراسات الإسلامية الجديدة «الرد القصصي في القرآن الكريم» للأستاذ ثروت أباطة ونشر دار نهضة مصر ، و «التجارة في الإسلام» للأستاذ عبد السمح المصري ونشر مكتبة الانجلو ، و «أعلام الفكر الإسلامي» وهو في خمسة أجزاء من تأليف الأستاذ محمود عبد الوهاب ونشر دار الشعب .

• ومن الدواوين الجديدة التي صدرت أخيراً «جراحات قلب» للأستاذ طارق الطاهري وطبع البصرة ، و «موت بين البحر والصحراء» للأستاذ عبد الخالق الركابي ونشر وزارة الاعلام العراقية ، و «وحشي الظل» للشاعر الجزائري الأستاذ أزراج عمر ونشر الشركة الوطنية بالجزائر .

• «عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ١٨٣٩ - ١٩١٨» ، عنوان كتاب جديد للدكتور فاروق عثمان أباطة نشرته الهيئة المصرية ●

الرواية الانجليزية تاريخاً ونقداً

بقلم

الأستاذ حسين الجيار

الرواية الانجليزية — وما زالت —
الكتاب موضوعاً لكثير من الدراسات النقدية الى حد يجعلنا نحس بأنه لم يعد هناك ما يمكن أن يقال . فقد حدد النقاد خصائصها ، وتبعوا تطورها ، وناقشوا المؤثرات التي أثرت فيها . واننا مدينون هؤلاء النقاد من حيث أنهم زادوا من متعتنا في قراءة هذه الروايات . غير أن هناك خطراً كبيراً يحيق بالرواية من وراء هذا كله ، ذلك انه كلما ازداد الحديث عن تلك الروايات ، وتشعبت فيها الآراء ، جعلنا ذلك أقل تلقائية في تناولنا اياها . فبالرغم من أنها توفر مجالاً خصباً للدراسة إلا أنها كتبت أول ما كتبت لتكون وسيلة للمتعة والتسلية . وانه ليجزنا أن نتخذ موضوعات لحجرة الدراسة والمحاضرة كتباً قصد بكتابتها أن تكون جزءاً من الحياة . وتمر الأيام ، وتنتهي الحال بروائع الروايات الانجليزية — حتى الكلاسيكية منها — لتتخذ مكاناً لها فوق رفوف المكتبات حيث تلقى عناية لا تزيد عن رفع الغبار الذي يتراكم على أغلفتها بين الفينة والفينة ، بينما كان يجب أن يكون مكانها الحقيقي على منضدة صغيرة بجوار مقعد مريح ، حيث تصبح في متناول يد من يريد الاستمتاع بقراءتها ، وقضاء وقت — قصر أو طال — مع جزء لا يتجزأ من واقع الحياة . اننا نفقد كثيراً اذا تجاهلنا ، أو اذا كرمنا من ناحية الاسم فقط ، مثل هذا الجانب الحي من التراث الانجليزي . ان ماضي انجلترا في فنها — كما هي الحال من حيث تاريخها — هو الذي ساعد في صنع حاضرها . فمن الطبيعي إذن أن يصبح الانجليز في حاجة الى أن يكون كتابهم المشهورون بالقرب منهم حين يواجهون هذه

الحقبة الجديدة من التجربة البشرية . وان الفنانين والكتاب ، مهما عفا عليهم الزمان وطال عهد فراقهم لهذه الحياة ، سوف يظلون من خلال فنهم الحي معاصرين ، ذلك أن ميدان فنهم دائماً هو ميدان الحياة البشرية . انهم يخاطبوننا نحن الأحياء ، وان ذلك يصدق على كتاب الرواية كما يصدق على الرسامين والشعراء ، غير أن قليلين هم الذين يسلمون بهذه الحقيقة . ولعل هؤلاء بعض العذر فيما يفهمون ، ذلك لأنه بينما تنتظر من الرسام أو الشاعر أن يسمو بفنه أو بشعره فوق كل حدود ، نتوقع دائماً من كاتب الرواية أن يكون معبراً عن مشاكل عصره المتكررة يوماً بعد يوم . اننا نحس أن الرواية يجب أن تكون على صلة وثيقة بالحياة ، وأن الروائي يجب أن يكون رجل عصره ، وانه ما دام عصره هذا يمهّد لعصر يأتي بعده ، وان ذلك يمهّد لعصرنا نحن ، أفلا نحس حينئذ أنه يصور ما كان ، الى حد يجعل أحكامه وتقديراته غير مألوفة لدينا الآن ؟ ان القارئ في عصرنا قد يتساءل كيف يمكنه أن يرى المؤلف والمقنع والمحتمل في روايات كتبت قبل عصره بقرنين من الزمان .

والجواب عن هذا التساؤل هو أنه بينما يجب أن ينتمي الروائيون الى عصرهم ، فان كبار الروائيين لا تحددهم حدود في الزمان أو المكان . لقد اندثرت روايات هزيلة باندثار العصر الذي كتبت فيه ، ذلك أن كتابها قد شغلوا أنفسهم بالجوانب السطحية من التجربة البشرية ، دون أن يمسوا من قريب أو بعيد أساسياتها الأبدية . أما في روائع الروايات فاننا نجد هذه الأساسيات تشكل الموضوع الرئيسي .

اننا نلمس مدى أبعاد التجربة البشرية دون أي التزام بعصر من العصور . والحقيقة اننا نلمس منذ الوهلة الأولى ماهية تلك الأساسيات ، كما نلمس السبب في أن أشخاص الرواية لا يختلفون من عصر الى عصر إلا قليلا . اننا لن نجد في روائع الروايات التي تتخطى السنين ما يثير الغرابة أو الدهشة . وإذا كان هناك قليل من الاحساس بأن هناك شيئا غير مألوف ، فسوف يتلشى ذلك الاحساس بعد قراءة قليل من الصفحات الأولى في الرواية . ان بعض الاختلاف في لغة الحديث أو في الزي أو في العادات أو في السلوك لن يؤثر فينا كما يمكن أن يتطرق الى الذهن . بل على العكس من ذلك فاننا ندفع الى الاحساس بأن الحياة التي عاشتها الرواية حين خرجت الى حيز الوجود لا تختلف أبداً عن الحياة التي نعيشها الآن .

ب الرواية الانجليزية ، بمفهومها السليم ، بدأت في عصر الفكر - في عصر كان الناس فيه يفكرون لأنفسهم . ولقد ظل هذا الفكر هو الرائد الملهم للرواية الانجليزية ولكن العبقرية الحقيقية التي منحت الرواية الانجليزية حقيقتها وحياتها هي - في نفس الوقت - قوة تتخطى مجال العقل والفكر . ففي تاريخ الرواية الانجليزية - منذ نشأتها الى يومنا هذا - نرى أن الانجليز لم ينقطعوا عن تصوير أنفسهم ورويتهم كسكان جزيرة متعاليين ، وفي نفس الوقت حائرين . لقد كانت - ولا تزال - مصدراً لتدفق شعور عدد من الانجليز واحساسهم بالحياة ، كما كانت - ولا تزال أيضاً - منطلقاً للنقد الذي يهدف الى اصلاح الحياة .

لقد كانت البدايات الأولى للرواية الانجليزية محاولات هزيلة قام بها جماعة من الكتاب قبل القرن السادس عشر . كانت انجلترا في عهد الملكة اليزابيث تحتاج الى وسائل للتسلية .

واستجابت الفنون الى هذه الحاجة ، وجاءت الدراما أو فن المسرحية ليبليغ الذروة وليجد فيه الانجليز كامل متعتهم ، حيث كانت الغالبية العظمى منهم في ذلك العصر أميين . وكان

كتاب المسرحية هم الذين يحتلون المكانة الأولى والكبرى في نفوس وقلوب الانجليز جميعاً . أما من عداهم من الكتاب - الذين طرغوا أبواباً غير باب المسرحية - فقد كانوا يخاطبون طبقة من الناس رفيعة متعلمة ، ومن حاول من هؤلاء الكتاب أن يدخل في مجال القصة فقد كان يفعل ذلك مشاركة أو ممالأة لأذواق رجال البلاط . وأصبحت الطريق عندئذ عمدة أمام كتاب القصة بظهور الحكايات الإيطالية في سماء القصة الانجليزية مع عصر النهضة الذي كان بداية لغزو فكري تبعه غزو آخر جاء الى انجلترا من فرنسا عبر القنال الانجليزي . ثم كانت محاولات بدأها « جون لي - John Lyly » بقصته : « Euphues: Anatomy of Wit » عام ١٥٧٩ ثم اعقبها في العام التالي بقصة : « Euphues and His England » . وكلتا القصتين تحملان آثار عصر النهضة وتتضمنان شطحات في الحوار يعلو كثيراً فوق مستوى الرجل العادي . ولقد لاقت قصتنا « Euphues » نجاحاً فورياً في المحيط الذي كتبنا من أجله . غير أنه كان نجاحاً قصيراً ، لأن الوعي الشعبي العام بدأ يثبت وجوده ويؤكد نفسه ، وظهر عدد من المتحمسين الذين أحسوا بأن مثل هاتين القصتين تسخران بعقلية عامة الناس وبكيانهم . فكان ما كان من الاستهزاء بهما واطهار العداء لهما ، حتى عفا عليهما الزمان ، ولم يعد أحد يذكر شيئاً عنهما سوى انهما أضافتا الى الانجليزية عدداً من المفردات .

س جاءت محاولة أخرى قام بها « السير فيليب سدن - Sir Philip Sidney » حين كتب قصة « Arcadia » التي ظهرت عام ١٥٩٠ بعد أربع سنوات من وفاته . ولقد صاغها « سدن » في صورة من النظم المشثور بأسلوب يفيض رقة وعذوبة ظل الى عهد طويل بعد وفاته قدوة لكثيرين ممن نهجوا نهجه وكانوا له مقلدين .

ثم كانت محاولة أخرى حين ترك « جون جرين - John Greene » كامبردج وذهب الى لندن ، لا ليشغل بأمور البلاط كما فعل غيره ، ولكن ليكسب قوت يومه من كتابة المقالات

والمسرحيات . وكانت تجارته شاقة ورفقاؤه من أحط الطبقات إلا أنه كان واقعياً ، ومن أجل ذلك نبذ في نفسه الأثر الذي كانت قد تركته قصتنا « Euphues » حين دفعناه الى كتابة أولى قصصه : « Mamillia » . وقت ان كان لا يزال في كامبردج عام ١٥٨٣ ، وبدأ يتجه اتجاهاً آخر فيه قوة التقدم الى الأمام التي ظهرت فيما كتب بعد ذلك من قصص أدخل فيها عنصر التشويق مع طول مناسب جعلها تقترب من الروايات القصيرة . وفي تلك القصص خرج على تقاليد المتصلين بالبلاط وأفكارهم ، وأخذ يكتب عن لندن المكشوفة أمامه كما عرفها ، بكل ما فيها من وساخات وروائع قد تتركز كثيراً من الأنوف الرقيقة دون أن يبالي . وتبعه في نفس الطريق « توماس ناش - Thomas Nash » الذي اتخذ بذكائه وعبقريته طريق السخرية والتهجم والتهكم أسلوباً لكتابة قصصه .

وهكذا فان عصر الملكة اليزابيث قد انتهى بظهور اتجاهين متناقضين في كتابة القصة الانجليزية ، ولقد مهد ذلك الطريق على الأقل لحكايات أصبحت أساساً لكتابة الرواية فيما بعد حين ظهرت بعض المحاولات الابتكارية ، وبعض التجارب التي وضعت على طريق الاستقرار .

وخلال القرن السابع عشر حدث ما لم يكن في الحسبان ، فقد جاء برلمان جماعة المتطهرين « Puritans » ، الذين كان لهم نفوذ كبير على أجهزة الحكم في الدولة ، واتخذ قراراً باغلاق المسارح ، وبدأت الدراما عندئذ في الاضمحلال ، كما بدا الناس يفكرون في وسيلة أخرى للتسلية ولشغل أوقات الفراغ . حينئذ أمدتهم القصص الخيالية الرومانسية المستوردة من فرنسا بما كان يلهمهم ويجلب لهم المتعة ، فاعتادوا القراءة ، وأصبحت تلك فرصة سانحة لبعض الكتاب لكتابة ما كان الناس يحتاجون اليه . في هذه الفترة ظهرت قصة : « Pilgrim's Progress » لجون بانيان « John Bunyan » عام ١٦٧٨ وهي من أروع ما كتب من حكايات . ثم جاءت بعدها قصة « Incognita » لكونجريف « Congreve » عام ١٦٩٢ وهي

أيضاً من أروع القصص التي ظهرت في هذا القرن . وكان من الممكن أن يستمر كونجريف في فنه ككاتب قصة غير أن المسرح جذبه بعد انتعاشه ثانية حين ضعف سلطان المتطهرين « Puritans » وعادت الحياة الطبيعية الى إنجلترا بعودة الملك تشارلس الثاني الى عرشه مرة أخرى .

ولكن فإن القرن السابع عشر قد أوجد الدولة التي كان عليها بعد ذلك أن تخلق الرواية الإنجليزية بكل مفهومها الحديث . ذلك أن الحرب الأهلية التي اشتعلت نيرانها من قبل خلال هذا القرن قد ولدت في نفوس الإنجليز نوعاً جديداً من الوعي والشعور بالذات ، وبدأ التفكير الاجتماعي يظهر في حياة الناس ، ثم كان الاهتمام بالعلم الذي صرف الناس عن الانطوائية وولد فيهم الموضوعية وحس الاستطلاع والقدرة على تحليل الأشياء . ثم بدأ الناس يلمسون ما لم يكونوا قد أحسوا به من قبل وهو تعقد النفس الإنسانية ، وبالتالي صلة هذه النفس الإنسانية بالكون كله . وأهم من كل ذلك فقد ظهرت في المجتمع طبقة جديدة لها قوتها ولها نفوذها ، وهي الطبقة المتوسطة التي كانت تعتمد على نفسها كل الاعتماد . وكانت هذه الطبقة الجديدة تتطلب من الفن شيئاً جديداً . فاستجاب لها وقدم ما سوف يجعل من الرواية الإنجليزية في القرون التالية ركناً أصيلاً من أركان الفن ، ودعامة قوية أساسية من دعائم الحياة .

كان القرن الثامن عشر في حقيقة الأمر هو عصر مولد الرواية الإنجليزية بكل مفهومها الصحيح . وكان بعض كتاب المقال من أمثال « ستيل واديسون Steele and Addison » هم اللبنة الأولى لهذا الصرح الضخم والبناء المتين . وقد كانت الفصول التي كان ينشرها هذان الكاتبان الكبيران في مجلتيهما « Tatler » و « The Spectator » من ١٧٠٩ حتى ١٧١٢ هي التي دفعت عجلة التقدم الى الأمام خطوات نحو الرواية الصحيحة بتركيزها على الاهتمام بالشخصيات وتحليلها ثم ايجاد عنصر التشويق نتيجة لهذا التحليل .

وجاء « دانييل ديفو - Daniel Defoe » ليكتب القصة مؤخراً وإن كان قد تناول غيرها كثيراً في مطلع حياته الفنية . ولقد قسا عليه الدهر وعانى في حياته الكثير حتى كاد أن يموت جوعاً هو ومن كان يعولهم ، وأصبح على شفا حفرة من اليأس والانهار . وهنا تتكشف له مواهبه الفنية في الرواية ، فيعصر خياله الغريب عصراً ويخرج للعالم كله « روبنسون كروزو - Robinson Crusoe » عام ١٧١٩ التي مزج فيها الحركة والحدث بالشخصية مزجاً غريباً لم يسبقه اليه أحد ، وهل هناك أروع في اظهار الشخصية من رواية قصة رجل يعيش وحيداً مع نفسه في جزيرة نائية ؟ ثم جاءت بعد ذلك روايات أخرى لنفس الكاتب مثل - « Moll Flanders » عام ١٧٢١ ، ثم قصة « Colonel Jack » عام ١٧٢٢ ، ثم « Roxana » عام ١٧٢٤ . لقد كان ما كتبه « دانييل ديفو » يبدو حقيقياً . انه هو الذي وضع أمامنا قاعدة هامة تنادي بأن كاتب الرواية يجب أن يكون موضع تصديق . ولقد شاركه في هذا الاتجاه « دين سويفت - Dean Swift » صاحب : « Gulliver's Travels » التي نشرت عام ١٧٢٩ .

لقد عرف « سويفت » بأسلوبه التهكمي الساخر وبخياله الخصب ، ومع ذلك فقد كان يعالج أدق التفاصيل في حكاياته بطريقة تجبر القارئ على الاقتناع والتصديق . فبالرغم من أن عقل القارئ قد يقول له : « أنت تعرف أن مثل هذا لا يمكن أن يحدث » ، إلا أن الخيال يتدخل ليقول : « ولكنه قد حدث فعلاً . اننا نرى وبناء على ذلك نصدق ونقتنع » .

لقد كان « ديفو » و « سويفت » في حقيقة الأمر هما اللذان وضعوا اللبنة الأولى في صرح الرواية الإنجليزية ، واليهما يرجع الفضل في أنها بدأت بدايتها السليمة القوية . لقد انتهت بظهورها المحاولات الهزيلة السابقة ، وبدأت الرواية الصحيحة تشق طريقها القوية عندما بدأت تستحوذ على القوى المدركة الواعية عند القراء . وهكذا كان هناك عنصران ينتظران الرواية

وهما الشخصيات الحية المقنعة ، والقصة الحية المحتملة . غير أن هناك عنصراً ثالثاً كانت الرواية في أمس الحاجة اليه ليربط العنصرين المشار اليهما . كان ذلك العنصر الثالث هو الاهتمام بالعلاقات الإنسانية حيث يلتقي الرجال بالرجال أو الرجال بالنساء ، حين يتفاعل بعضهم مع البعض الآخر مؤثراً فيه ومتأثراً به ، وحين يتصارع الناس ويناضل الواحد منهم الآخر من أجل الحياة . ولقد كان من المقبول عقلاً أن شخصية الانسان تخضع دائماً للظروف والأحداث . واذن فطبيعة هذه الظروف وأحداثها التي تحدد السلوك هي التي يمكن أن نتخذ منها مادة للرواية .

ولكن على الروائي أن يتقبل حقيقة يعرفها قراؤه وهي أن السلوك الانساني ، مهما تشعبت اتجاهاته ، نادراً ما يخضع لقيود محددة . ومن الذي يفرض هذه القيود ويحددها ؟ انه المجتمع ، عالم الآخرين حيث يجد كل امرئ نفسه بحكم مولده متخذاً له فيه مكاناً موروثاً . ان علاقة الفرد بالمجتمع هي جزء لا يتجزأ من فكرة أية رواية . ولقد تبلورت فكرة المجتمع في القرن الثامن عشر ، وأصبحت الرواية الإنجليزية بحق نتاجاً لعصر اجتماعي كبير كانت علاقة الفرد فيه بالمجتمع تعد أهم علاقاته كإنسان : فلقد كان في مقدوره أن يتهرب من المجتمع أو يتحداه بأن يكون ناسكاً أو شريراً ، ولكن لم يكن في مقدوره إطلاقاً أن يتجاهله ، لأن مجرد وجود المجتمع هو الذي يعطيه وجوده : معنى وشكلاً . وأصبح من الواضح أن يزداد الاهتمام بحقيقة كبيرة مؤداها أن الانسان لا يعيش لنفسه فقط . انه ليس وحيداً في فراغ . ولم يكن هذا الاهتمام التأملي يرتفع الى مستوى الشعر ، فلقد كان دور التسامي فيه ضئيلاً ولكن وسيلة التعبير عنه كانت هي الرواية الثرية . ولما كانت إنجلترا حينئذ قد تهيأت لاستقبال الرواية بكل معانيها ، فقد جاءت الرواية ووقفت الناس جميعاً ليستقبلوا « Pamela » التي خرجت الى حيز الوجود عام ١٧٤٠ ●

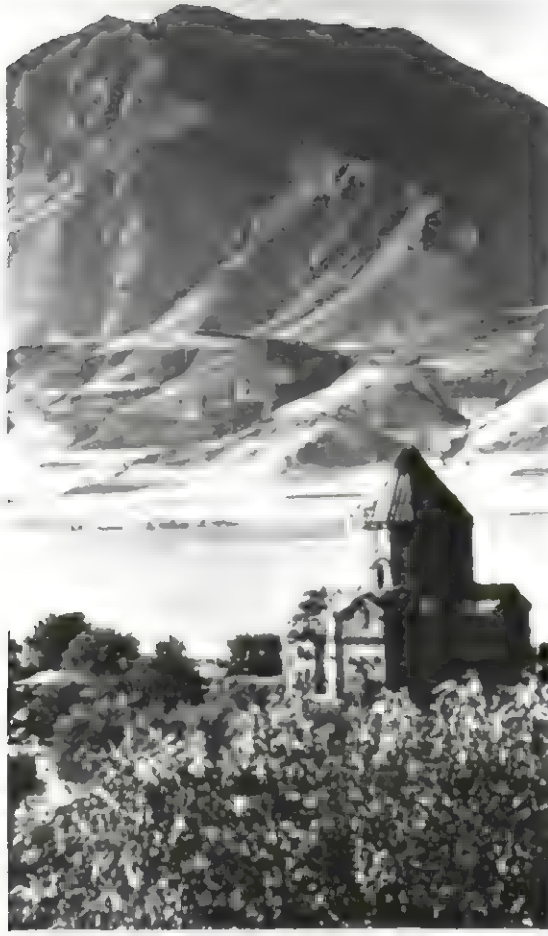
حسين الجيار - جامعة الملك عبد العزيز

سنة ١٤٢٨ هـ

دان

منتج الأناطرة والماء في العصر الذهبي

جانب من بحيرة دان، حيث الأضراس والمخالب،
التي تلتصق بها تناسق الجبال الوعرة المكسوة
بالأشجار المهرجة والأشباب التي ترتفع المنيعة



فِي أَقْصَى الطَّرْفِ الْجَنُوبِيِّ الشَّرْقِيِّ مِنْ تَرْكِيَا وَفِي
بَقْعَةٍ مَتَاخِمةٍ لِلْحُدُودِ الْإِيرَانِيَّةِ وَالْعِرَاقِيَّةِ
تَقَعُ بَحِيرَةٌ مِنْ أَكْبَرِ بَحِيرَاتِ الشَّرْقِ الْأَوْسَطِ وَأَجْمَلِهَا،
تَحِيطُ بِهَا جِبَالٌ شَاهِقَةٌ تَكُلُّ هَامَاتِهَا الثَّلُوجُ
فِي فَصْلِ الشِّتَاءِ، وَمَعَ اطِّلَالِ الرَّبِيعِ تَدَاعِبُ أَشْعَةُ
الْشَّمْسِ الدَافِئَةِ تِلْكَ الثَّلُوجَ فَتَنْسَابُ الْمِيَاهُ الرَّقْرَاقَةُ
فِي الْمَجْدَولِ لِتَصُبَّ فِي الْبَحِيرَةِ الْبَلُورِيَّةِ. فِي هَذِهِ الْبَقْعَةِ
النَّائِيَةِ يَعِيشُ الْمَرْءُ فِي أَحْضَانِ الطَّبِيعَةِ الْبَكْرِالِيَّةِ
لَمْ تَسْؤُهُ وَجْهَهَا الْفَاتِنُ أَوْ ضَارَ الْعَصْرُ، وَيَعِيشُ فِيهَا
مَعَ أَحْدَاثِ الْأُمَمِ الْغَابِرَةِ وَالْحَضَارَاتِ الْقَدِيمَةِ الزَاهِيَّةِ
الَّتِي تَرَكَتْ بِصَمَاتِهَا عَلَى أَرْضِهَا وَصُخُورِهَا، تِلْكَ هِيَ
بَحِيرَةُ «وَانْ» الَّتِي تَكَادُ شَهْرَتُهَا التَّارِيخِيَّةُ تَطْفُئُ
عَلَى وَاَقْعِهَا الْحَاضِرِ.



- ١ - كنيسة «اكتامار» الارمنية القائمة على جزيرة اكتامار من المعالم الأثرية الجديرة بالمشاهدة لما تحتويه من منحوتات بديةة ونقوش مجسمة وتابلوهات حية.
- ٢ - تحيط الجبال الشامخة ببخيرة «وان» البلورية لحاظة السوار بالمعصم.



متراً وتغطي مساحة تبلغ نحواً من ١٤٢٠ ميلاً مربعاً . ونظراً لارتفاعها وسعة مساحتها فإنها تتمتع بمناخ معتدل صحي لطيف في الصيف ، أما شتاؤها فهو بارد جداً ، إذ تسقط الثلوج على الجبال المحيطة بها في الفترة ما بين ديسمبر ومارس . والبحيرة صالحة للملاحة منذ أقدم العصور إلا في فصل الشتاء عندما تجتاحها العواصف الهوجاء الباردة . ففي شهور الصيف المعتدلة تجوب الزوارق الفارغة صفحة البحيرة المرصعة ضفافها بالمدن والقرى وإلى جزيرة « اکتامار - Aktamar » الواقعة في الركن الجنوبي الشرقي من البحيرة على بعد أربعة كيلومترات من مدينة وان . وعلى هذه الجزيرة تقوم معالم أثرية ذات صلة وثيقة بالامبراطوريات القديمة التي اتخذت من اقليم بحيرة « وان » منتجعاً لها ، ومحطة انطلاق تنقياً ظلها الوارفة الى حين .

مياه بحيرة وان مرة المذاق غير صالحة للشرب ، فمحتواها من الأملاح المعدنية عال جداً للدرجة لا تسمح لأشكال الحياة العليا بأن تعيش فيها ، ومع ذلك تكثر عند مصبات الأنهار والجداول وفي الأهوار أسماك الزنكة الصغيرة في فصلي الربيع والصيف ، ويسمونها « الدارخ » حيث يصيدونها بالشباك التي يطرحونها في الماء من قوارب الصيد الصغيرة . وأهم الأملاح التي تحتويها مياه البحيرة هي كاربونات الصودا وسلفات الصودا والبوراكس . ويعمد أهالي المنطقة الى تبخير مياه البحيرة في جفان مسطحة للحصول على الأملاح وتعبثها في أكياس صغيرة ويبيعها كمساحيق للتنظيف والغسيل . أما مياه الشرب فمتوفرة في العيون العذبة على الساحل وفي الجبال المحيطة بها .

وتمتاز منطقة بحيرة وان بموقع استراتيجي يشرف على طرق القوافل التجارية القديمة ، وقد جلب لها ذلك الموقع الفريد الويسلات والكوارث ، إذ كانت أرضها مسرح حرب لجيوش الامبراطوريات القديمة . فمن الشمال الغربي يحف بها خط رفيع من البراكين الخاملة في جبال « نعروت » و « صوفان » التي تنحدر سفوحها الشمالية برفق الى حوض الفرات الأعلى حيث السهول الفيحية التي تزرع حبوباً ، ومن ورائها يقف شامخاً جبل « ارارات » الذي استقرت على قمته السماء ، البالغ ارتفاعها نحو ٥٦٥٠ متراً والمكلفة بالثلوج ، سفينة نوح ، عليه السلام ، عقب الطوفان ، بناء على اخبار

صف أواخر عام ١٩٧١ احتفلت ايران وتركيا بتدشين خط حديدي يربط بين قارتي أوروبا وآسيا . ولعل اختيار ايران وتركيا « بحيرة وان - Van Golu » مكاناً للاحتفال بهذه المناسبة السعيدة كان موقفاً الى أبعد الحدود ، لأنها تمثل البوثة التي انصهرت فيها الحضارات القديمة الزاهرة ، والحديثة المتطورة ، من حورية ، واورارتية ، وحشية ، وآشورية ، وفارسية ، وميدية ، وأرمينية ، واغريقية ، ومغولية إلى اسلامية عربية ، وكردية ، وتركية . ومع أن اقليم بحيرة « وان » يعتبر من أجمل بقاع العالم ، إلا أن هذه البقعة تعيش في شبه عزلة في منأى عن النشاط السياحي العالمي ، مرد ذلك الى وعورة المسالك اليها من جهة ، وجهل الناس بتاريخها من ناحية أخرى . وقد تنهت الحكومة التركية الى أهمية هذه المنطقة العريقة فشقت الطرق اليها . فهناك طريق يمتد من مدينة « ارزوروم » في الشمال ماراً بمدينة « أغرى » (كاراكوز) ومدينة « ارشيش » الواقعة على الضفة الشمالية لبحيرة وان ، ومنها الى مدينة « وان » عاصمة اقليم بحيرة وان . ويبلغ طول هذا الطريق ٣٢٦ كيلومتراً . كما يمتد طريق آخر من مدينة « العزيز - Elazig » طوله ٣٢٤ كيلومتراً ، وهو طريق متعرج يخترق حوض نهر الفرات الأعلى ، ثم يأخذ الطريق بالارتفاع التدريجي في منطقة جبلية تغطيها غابات البلوط ، ماراً بمدينة « قيقشور » و « موش » التي تمتد أمامها الأهوار والمستنقعات حتى مدينة « نق أشكليسي » على الشاطئ الغربي لبحيرة وان ، ومنها الى مدينة وان . وهناك طريق ثالث يمتد من مدينة « ديار بكر » ويتجه شرقاً شمالاً مخترقاً منطقة جبلية ذات صخور بازلتية ، تفضي الى وادي « بيتلس » الذي يتصب خلفه جبل شاق ذو صخور كلسية ، يخترقه نفق حفر تحت نفق قديم كانت تسلكه القوافل التجارية في الأزمان الغابرة ويطلق عليه اسم نفق سميراميس ، نسبة الى الملكة الأشورية المشهورة « سميراميس » . ويلتقي هذا الطريق بعد مدينة « بيتلس » بالطريق الممتد من « العزيز » في مدينة « تاتوان » حيث يتجه الى مدينة وان ، ويبلغ طوله ٢٦٦ كيلومتراً .

أما بحيرة « وان » فهي مستطيلة الشكل تقريباً ، إذ يبلغ طولها من الشرق الى الغرب نحو ٨٨ كيلومتراً ، وعرضها ٦٤ كيلومتراً ، وترتفع عن مستوى سطح البحر نحو ١٧٢٥

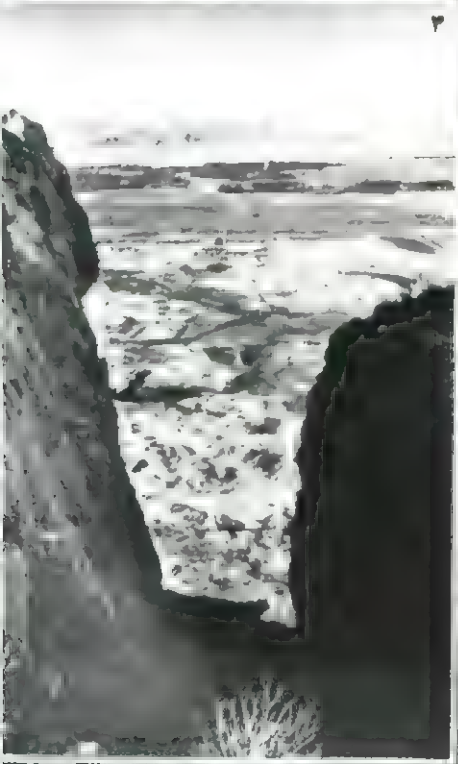


١ - جانب من الزخارف التي تزدان بها جدران
كنيسة اكنامار .

٢ - العزلة التي تتمتع بها بحيرة « وان » الواقعة في
أقصى الطرف الشرقي من تركيا ، تضيئ عليها مسحة
من الجمال الأخاذ .

٣ - تزخر منطقة بحيرة « وان » بالمعالم الأثرية
الرائعة ، وهذه قلعة « حوصاب » المطلة على طريق
القوافل التجارية المتجهة الى بلاد ما بين النهرين .







٢ - التايين في التضاريس الطبيعية في القيم
بحيرة «وان» يكتسبها جمالاً رائعاً .

٣ - سهل « وان » الممتد الى الشرق من المدينة يعتبر
من الحصب بقاع العالم حيث الحداويل الرقاقة والتربة
الغنية والبساتين المربعة .

٤ - على جبل صخري يرتفع عن مستوى سطح
البحيرة ٣٦٠ قدماً تقوم قلعة « وان » التي يرجع
تاريخها الى العصر الأورازقي (٨٠٠ - ١٣٠٠ م)
ق (م) .



تم إجراء العمل على هذا المشروع وإنه كان الحكومة التركية قد شقت الطرق إليها .



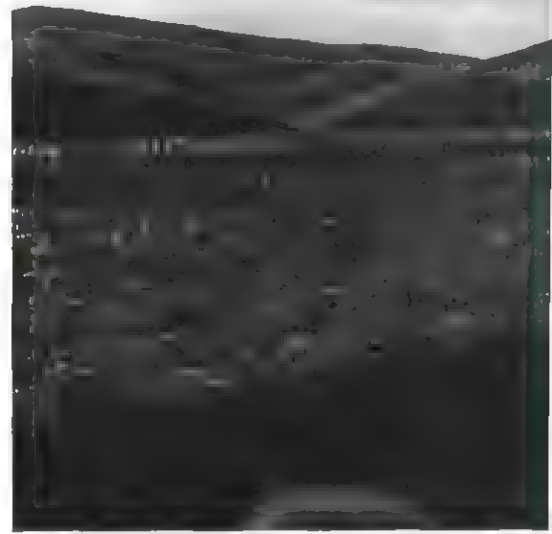
١ - ضأن أنقرة المشهور بصوفه الناعم الطويل
يرعى في سفوح جبل « ارارات » الذي يبعد عن
بحيرة وان نحو ٧٠ كيلومتراً ، وترتفع قمته المغطاة
بالثلوج ١٦٩٤٦ قدماً .

٢ - الأعشاب الطويلة والزهور ذات الأريج
العبق تغطي التلال والسهول .

٣ - رغم قلوية مياه البحيرة تعيش فيها أسماك الرنكة
الصغيرة التي يصطادها الصيادون بالشباك من قواربهم .



٣



الري تحت الأرض ومنها « قناة سميراميس -
Semiramis Su » التي تروي السهل الفسيح
الواقع بين مدينة وان وسلسلة جبال « فاراك » وعرضه
نحو ١٢ كيلومتراً ، ويمتاز بترتبه الرسوبية الغنية
الخصبة ، ولذا تكثر فيه البساتين النضرة والحدائق
اليانعة ذات الثمار الشهية المتعددة الأشكال
والألوان ، وللمكانة الرفيعة التي تتمتع بها هذه
البقعة الجميلة في قلوب قاطنيها فأنهم يقولون
« وان هي جنة الدنيا » .

ونحن اذا ما توغلنا في أعماق التاريخ
فاننا نجد ما يؤيد قول أهل مدينة وان ،
فهذه « سميراميس » ملكة آشور وبابل
الاسطورية التي فاقت الملك نينوس زوجها

يقع شرق جزيرة ابن عمر الى جانب دجلة عند
الموصل ، والدكتور مهراي أورد ذلك الموقع
ضمن دراسة تحليلية حول « قصة الطوفان بين
الآثار والكتب المقدسة » . ومهما يكن من أمر
موقع المكان الذي استقرت عليه سفينة نوح ،
عليه السلام ، فان مجرد استئثار اقليم بحيرة وان
باهتمام المؤرخين وعلماء الآثار من هذه الناحية
يضيف على هذه البقعة أهمية خاصة .

وتحيط باقليم وان من الجنوب سلسلة جبال
طوروس الشديدة الانحدار والتي تخترقها أودية
عميقة تجري فيها روافد نهر دجلة والزاب الأعلى
الى سهوب العراق . أما من الشرق فتنتصب
جبال « فاراك » الوعرة . ومن هذه الجبال تمتد قنوات

التوراة في سفر التكوين . بيد أن المكان الذي
استقرت عليه فلك نوح ، عليه السلام ، لا يزال
موضع خلاف بين المؤرخين والمفسرين ، ففي
ملحمة « جلجاميش » البابلية عن قصة الطوفان
تشير الى جبل « ينصير » . أما في القرآن الكريم
فقد ورد ذكر اسم المكان الذي استوت عليه
الفلك في الآية الكريمة « وقيل يا أرض ابلعي
ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر
واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين »
والجودي ، كما يحدد موقعه الدكتور محمد
بيومي مهراي ، أستاذ التاريخ القديم في كلية
اللغة العربية والعلوم الاجتماعية في جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، هو جبل

التاريخية بأنهم كانوا طوائف من الهمج البرابرة ، وقد قضى عليهم الملك الحيثي « سوبليوماس » ودحر مملكة « ميتاني » التي كانوا يقطنونها ، ثم اتجه نحو سوريا وأخضعها بأسرها . والحيثيون تفوقوا على غيرهم من الممالك القديمة في تشكيل النقوش البارزة المجسمة وصناعة الأختام ، وقد اكتشف بعضها في عاصمتهم « حتوساس » على مقربة من مدينة « بوغازكوي » في هضبة الأناضول العليا ، كما عثر على كثير من تلك النقوش في اقليم بحيرة وان .

ثم قامت في منطقة البحيرة مملكة « اورارتو » التي عرف أهلها بمهارتهم الفائقة في التعدين والري ، وقد امتد نفوذ ملكهم « ساردر الأول - Sardur I » من مدينة « سيفاس » في وسط هضبة الأناضول غرباً الى بحيرة « أرميا » في ايران شرقاً ، حتى أطلق على نفسه « ملك الأركان الأربعة » . وبنى لنفسه عاصمة تليق بمقامه

وتدمير حضارتها التي دامت نحو خمسة قرون (١٣٠٠ - ٨٠٠ ق.م) . وقد وصف الآشوريون بالفضاظة والقسوة وخاصة مع الممالك المغلوبة ، فما كان من ذلك الملك الآشوري إلا أن أحال كل أهالي المنطقة الى رقيق ، وقبض على زعماء القبائل ووضع في أنوفهم الأحلاق وساقهم أمامه الى بلاده سوق الثيران ، الى الأسواق . ويصف « سرجون الثاني » الملك الآشوري في أحد النقوش التي عثر عليها زحفه على تلك المنطقة عبر الجبال الوعرة السامقة ، وكيف عصف بمملكة « اورارتو » كما تعصف أسراب الجراد بالزروعات . أما اقدم الأقوام التي استوطنت هذه البقعة فهم « الحوريون » الذين يعود تاريخهم الى عام ١٥٠٠ ق.م ، وهم قوم غزاة وفدوا من سوريا واستقروا فترة في أرض فلسطين في عهد ابراهيم عليه السلام ، وقوضوا أركان الدولة البابلية ذات الحضارة الرفيعة . وتصنفهم بعض المصادر

بشجاعتها وعزتها ، أعجبت بهذه البقعة أيما إعجاب ، فأمرت أن يشاد لها قصر فخم على شاطئ البحيرة . لتصطاف فيه تخلصاً من حر « ميسوبوتاميا » الشديد في الصيف . وسخرت لبناء القصر نحو ثلاثين ألفاً من أمهر الصناع في لينوى ، عاصمة آشور ، فجاء القصر تحفة رائعة ، حتى لقد عده المؤرخون أعجوبة من عجائب العالم الآشوري بحديثه الوارفة ذات الألف نافورة . كما لجأ الى اقليم وان أبناء سنحاريب الملك الآشوري .

ومن الناحية التاريخية فقد استضاف هذا الاقليم على كره منه حضارات عديدة تركت بصماتها واضحة على أرضه ، وتعرض أحياناً خلال حلها وترحالها الى الدمار والتشتت . فهذا الملك الآشوري « تغلث بلاسر الثالث - Tiglath Pileser » استطاع أن يقضي على مملكة « اورارتو » في المنطقة وبسط نفوذه عليها



تنداخل البساتين ورقة مياه البحيرة على نسق يوحي بالبهجة والسرور .

« تاتوان » قرية وادعة في أحضان البحيرة الحميلة ، وتبدو على صفحاتها الهادئة زوارق النقل الأنيقة وأسراب الطيور الدثيرة .

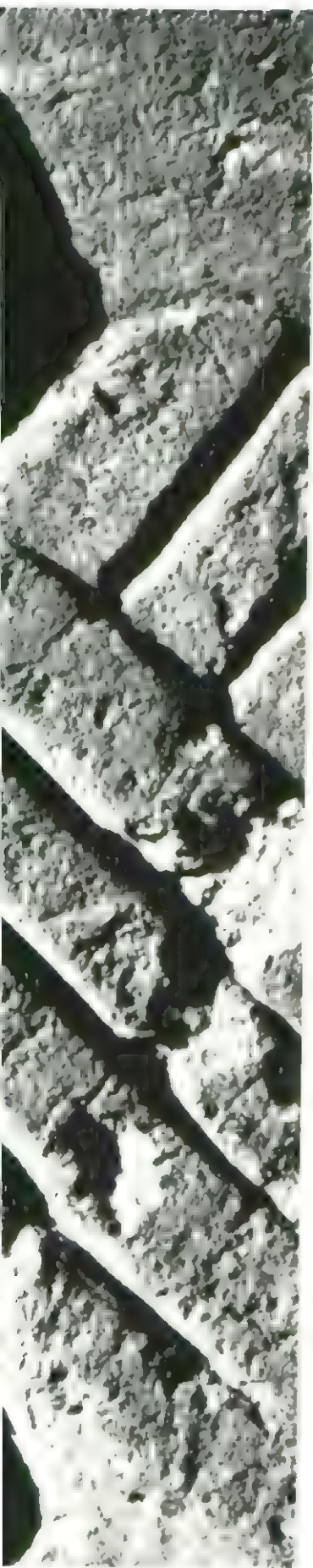
في « طوبرا كل » التي لا تزال أطلالها قائمة على بعد ٥ كيلومترات الى الشرق من مدينة وان الحديثة ، وقد دمرها الملك الأشوري « شلمنصر - Salmanazar » في عام ٨٥٧ ق.م. وجدير بالذكر أنه في عام ١٨٥٠م أجريت حفريات فيها عُثر خلالها على عدد كبير من الدروع البرونزية المزخرفة بأشكال متعددة للحيوانات ، والأختام الاسطوانية المصنوعة من الحجارة الكريمة والحلي المصنوعة من الذهب والفضة والأواني الخزفية البديعة الدقيقة الصنع ، الى جانب الكثير من النقوش الاسفينية المنحوتة على الصخور العمودية الملساء ، وكلها تشهد بما بلغه الحرفيون والفنانون الاورارتيون من مهارة ودقة في هذا المضمار . ويمكن مشاهدة الكثير من مخلفات الاورارتيين في متحف الآثار في أنقرة . ولم يلبث أن شيد الاورارتيون عاصمة جديدة لهم باسم « طوشبا - Tushpa »



ستبل القمح تغطي جانباً كبيراً من سهل « وان » .



كلما جنحت ذكاه الى الغيب ، أو برزت مسن خدرها ألقّت على مدينة وان وقلعتها وشاحاً من ثبر



القلاع لصحمة في «ود» تحكي أسوارها شعبة للمشاهد أخبار الأمم العبرة التي تدقبت على أرضها .



معسكر للجنود الأتراك في ظاهر مدينة وان .

أهلها وتبعهم تيمور لئلا فدمر مدينة وان في عام ١٣٨٧ م . ومنذ ذلك الحين استمرت المنطقة في التدهور الى أن أصبحت جزءاً من الامبراطورية العثمانية في عام ١٥٣٤ م .

وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى ، نشأت مدينة وان الجديدة الى الشرق من مدينة وان القديمة ، وأخذت تنمو شيئاً فشيئاً وراحت تنعم بالهدوء بعد تاريخ حافل بالويلات والدمار . ويعيش في مدينة وان نحو ثلاثين ألفاً من السكان يشغل معظمهم في الزراعة وصيد الأسماك ، فسوق المدينة يزخر بالفاكهة والحبوب والخضار . ويشغل بعض أبناء المدينة بالتجارة وخاصة تجارة الجلود والفراء وأشهره فراء قط وان الناعم الأبيض . وفي البحيرة تعيش طيور مائية متنوعة ، كالجمع والنورس ومالك الحزين ، أما المعالم الأثرية في وان وضواحيها فهي كثيرة ، فهناك قلعة وان ومعبد « اكنامار » الذي تزدان جدرانها بالزخارف والنقوش النافرة ، وهي تعكس بوضوح تام التأثير بالفن العربي الاسلامي المعاصر . هذا الى جانب العديد من الأديرة والمدافن وأطلال القصور . ويضم متحف وان الصغير القائم خلف فندق « شهر » الأواني المصنوعة من الخزف الأسود ، والملاهي الحجرية المصنوعة من السج وهو زجاج بركاني أسود اللون ، والمنحوتات البديعة الأشكال ، والنقوش التي تعود الى العصر الأورارتي وغيرها .

وهكذا تعود مدينة وان الجديدة الى الحياة النشطة لتلتقي مع التاريخ في صفحة جديدة نتحدث عن تطورها وازدهارها وطبيعتها الخلابة ●

سليمان نعام - هيئة التحرير

واختاروا الجرف الصخري الشاهق المحاذي للبحيرة من الشرق مكاناً لها ، وهو جرف يرتفع عن مستوى سطح البحيرة نحو ١١٠ أمتار ، وقد أكسبها ذلك الموقع حصانة ومنعة أمام هجمات الآشوريين المتكررة . ولا تزال القلعة الحصينة ماثلة للعيان على مقربة من مدينة وان الحديثة ، بيد أنها وقعت في أيدي الميديين في مطلع القرن السادس قبل الميلاد ، وأدى ذلك الى افول نجم الحضارة الاورارتيية . وفي القرن الخامس قبل الميلاد أصبحت المنطقة جزءاً من الامبراطورية الفارسية ، يدل على ذلك نقش بالحروف الاسفينية حفر بأمر الملك « أحشوريش Xerxes » على صخرة شاهقة تشهد على فتح المنطقة ، ثم جاء الارمينيون فأسسوا مملكة أرمينيا القديمة وبنوا عاصمتهم على أنقاض العاصمة الاورارتيية وأطلقوا عليها اسم « وان » نسبة الى الأمير الأرميني « وان » . وبلغت هذه الدولة ذروة مجدها وازدهارها في عهد ملكها « تغرانيس الأول » الذي وسع نفوذه حتى شمل سوريا . وبعد انتشار الدعوة الاسلامية خضعت أرمينيا للحكم الاسلامي في عهد الأمويين والعباسيين . ففي عام ٦٥٣ م عقد أمراء أرمينيا معاهدة مع الخليفة معاوية بن أبي سفيان تم بموجبها اعترافهم بسيادة الخلافة الاسلامية عليها . وفي أواخر العصر العباسي قوي شأن أرمينيا إذ قام الأمير « كاجيسك » بتتويج نفسه ملكاً على مقاطعة « وان » في عهد الخليفة العباسي المعتز بالله . ولم تسلم هذه المقاطعة من غزوات السلاجقة المتلاحقة الذين اجتاحتها أرمينيا كلها الى آسيا الصغرى ، ثم تبعهم المغول في عام ١٢٤٠ م فعصفوا بها وشردوا



بعض المنحوتات القديمة في كنيسة اكنامار .

بيضاء

للشاعر: خليل هنداي

أين الأحبة ؟ كانوا ملء أنظاري
فأين ، أين أصحابي وسماري ؟
فلا يبتون إلا رهمن أسفار
أما رثيت لفقد الألف والجار ؟
ويتهم الحزن أوتاري وأشعاري

من الطعام ، بأنياب وأظفار
مستلمين ، ومدوا العنق لآلئ
ومبسم كأفاحي السروض ، معطار
اضمامة من رياحين وأزهار
وذاك يلحظ لحظ العاتب الزاري
يا للعادة ! تغفو تحت أبصاري !!

عميقة بروى ، جلى بأررار
أم الخيانة رقت بين أشفار
أعين وافية ، أم عين غدار ؟

تجزين أهلك ، إذ غابوا ، بإنكار
فيه الحياة : فلا غاد ولا سار
كأنهم لم يكونوا غير زوار
فأنت آخر من يختال في الدار
والدهر يضرب أقداراً بأقدار

تمضي الحياة ، ولما أقض أوطاري
والناس ما بين أيراد واصدار
تغثال ما أبدعته كف نوار

عن العيون ، غدونا شبه آثار
على الجدار ، تركناها كذكر

لم يبق غيرك يا بيضاء في الدار
أني لأفتح عيني ههنا وههنا
كأنهم غرباء في منازلنا
أترحين ، وتختالين بعدهم ؟
لو كان حالك حالي ذبت من وله

كانوا ، إذا اجتمعوا هروا على قصع
حتى إذا شعوا نامت عداوتهم
من كل لون على لون يعانقه
تطوف ، حتى تراها ، وهي سارحة
هكذا يمد ذراعيه إلى عنقي
وتلك تلبس في جفني متممة

يا للعيون التي اخضرت نواظرها !
هل الصفاء على أشفارها ألح ؟
وللعيون معان لست أدركها :

ما كان أقالك ، يا بيضاء ، عاطفة !
إذا خلا البيت من أفراخه جمدت
إلا بقبلة أطياف تعاودنا
بيضاء ! لا تهجري داري كمن هجروا
أرى بوجهك من غابوا ومن حضروا

هي الحياة ، على كره أكابدها
لحن الحياة بلحن الموت ممزج
كف الخريف وما أقسى أظافرها !

تجيا حقيقتنا ، حتى إذا خيمت
نأتي ونذهب إلا صورة ضحكت



خليل هنداي - حلب

مدينة الكويت المودعة سكانها بحيرة وادي كبد
الهادئة زوارق النخل وأسراب الطيور المائية النادرة



